

روايات مصرية للجيب
د. نبيل فاروق
رجل المستحيل
الوحش الآدمي
139
www.liilas.com/vb3
^RAYAHEEN^
المؤسسة العربية الحديثة

الوحش الآدمى

- كيف يمكن أن يواجه العالم ذلك الخطر الرهيب، الذى يمتلك (يورى) مفاتيحه؟!
- هل يمكن أن يقاتل (أدهم صبرى) من أجل العالم، وكل رفاقه فى قبضة (المافيا) الروسية؟!
- ترى من ينتصر فى هذه الجولة الحاسمة؟! (أدهم) ورفاقه، أم ذلك (الوحش الآدمى)؟!
- اقرأ التفاصيل المثيرة، وقاتل بعقلك وكيانك مع الرجل.. (رجل المستحيل).



د. نبيل فاروق

رجل المستحيل
سلسلة روايات بوليسية للشباب زاخرة بالأحداث المثيرة

139

رجل المستحيل

(أدهم صبرى) .. ضابط مخابرات مصرى، يرمز إليه بالرمز (ن-1) .. حرف (النون)، يعنى أنه فئة نادرة، أما الرقم (واحد) فيعنى أنه الأول من نوعه، هذا لأن (أدهم صبرى) رجل من نوع خاص .. فهو يجيد استخدام جميع أنواع الأسلحة، من المسدس إلى قاذفة القنابل .. وكل فنون القتال، من المصارعة وحتى التايكوندو .. هذا بالإضافة إلى إجادته التامة لست لغات حية، وبراعته الفائقة فى استخدام أدوات التنكر و(المكياج)، وقيادة السيارات والطائرات، وحتى الغواصات، إلى جانب مهارات أخرى متعددة.

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد فى سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات .. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل).

د. نبيل فاروق

١- القتلة ..

بدا خبير الاتصالات الفنلندى (هانيب لارسن) شديد التوتر والعصبية، وهو يقف أمام (بورى إيفانوفيتش)، الزعيم الجديد لمنظمة (المافيا) الروسية، وهذا الأخير ينفث دخان سيجارته القوى، ذا الرائحة النفاذة، فى بطء مستفز، قبل أن يقول فى صرامة:

- إذن فأنت ترغب فى العودة إلى بلادك؟!

ازدرد الخبير لعابه فى توتر، قائلاً:

- نعم .. لابد أن أعود إلى عملى، و...

اعتدل (بورى) بحركة حادة، وهو يقول فى صرامة غاضبة شرسة:

- لابد؟!

امتقع وجه الرجل، وتراجع بحركة غريزية، وهو يقول:

- أقصد أنه .. أنه ينبغى أن أعمل .

ثم امتزج غضبه بتوتره ، واندفع يستطرد فى عصبية :

- لقد أديت العمل المطلوب منى على أكمل وجه ، وتخليت كل الاتصالات التى عهدتم بها إلىّ ، وأنتم قلتم إن هذا جعلكم تربحون معركتكم ، ثم إننى أجلس دون عمل ، فما الداعى لبقائى ؟!

توقعت (روشا) ، رفيقة (بورى) وحارسته الخاصة ، أن ينفجر هذا الأخير غضبًا ، من الأسلوب الذى تحدث به الفنلندى ، إلا أن (بورى) خالف كل توقعاتها ، وهو يتراجع فى مقعده ببطء ، وهدوء ، قائلاً :

- ألا تتقاضى أجرك ، وساعاتك الإضافية أيضًا ؟!

ذلك الهدوء المباغت أقلق الفنلندى أكثر ، فازدرد لعابه مرة أخرى فى توتر ، وهو يغمغم :

- ليست مسألة أجر .

سأله (بورى) ، فى هدوء أكثر :

- مسألة ماذا إذن ؟!

أرتبك الرجل ، وهو يغمغم :

- هناك ارتباطات عمل ، والتزامات ، و ...

قاطعه (بورى) ، وهو ينفث دخان سيجارته فى قوة :

- كم يبلغ راتبك فى شركة (نوكيا) يا رجل ؟!

أرتبك الفنلندى أكثر ، وهو يقول :

- أتوقع أن ...

ارتسمت على شفتى (بورى) ابتسامة مخيفة ، وهو يقاطعه مرة أخرى ، قائلاً :

- عشرون ألف دولار شهريًا ، وواحد فى الألف من المبيعات داخل (أوروبا) فحسب ، وهذا يعنى مايقرب من مليون دولار سنويًا .. أليس كذلك ؟!

شعر الرجل بخوف أكثر ، مع هذا الهدوء الرهيب ، وهو يتمتم بصوت مرتجف :

ـ تقريبًا .

اعتدل (بورى) مرة أخرى ، واشتعلت عيناه فى غضب مباغت ، وهو يقول بصرامة وحشية :

ـ هذا يعنى أنك ستحصل منا ، مقابل أسبوعين من العمل ، على ما يساوى راتبك فى عام ونصف العام .. أليس كذلك ؟!

تراجع الرجل مرة أخرى ، وهو يقول فى توتر :

ـ سيد (بورى) .. إننى لم ..

هبّ (بورى) من مقعده ، بحركة انتفضت معها كل خلية فى جسد الرجل ، وجعلته يتراجع أكثر ، حتى ارتطم بجسد (زوشا) القوى ، فدفعته هذه إلى الأمام ، فى قسوة خشنة ، و(بورى) يتابع فى غضب رهيب :

ـ فيم شكوك إذن ؟! هل تطلب المزيد ؟!

اختنق صوت الرجل فى حلقه ، وهو يقول :

ـ أبدًا يا سيدى (بورى) .. أبدًا .. كل ما فى الأمر هو أن المعركة قد انتهت ، و ...

قاطعه (بورى) بصيحة هادرة ، جمدت الدماء فى عروقه :

ـ المعركة لم تنته بعد .

وتألقت عيناه على نحو مخيف للغاية ، وهو يشدّ قامته ، متابعًا بكل صرامة :

ـ لقد ربحنا بضع جولات فحسب .

نطقها الروسى ، وعقله يستعيد الأحداث ، منذ تولّى زعامة (المافيا) الروسية ، بعد مصرع شقيقه (إيفان) على يد (أدهم صبرى) ..

بعدها سقط (أدهم) فاقد الوعى ، وألقت السلطات الروسية القبض على فريقه الجديد ، الذى انتقاه بدقة بالغة ، من بين صفوف المخابرات العامة ، والمرشحين

للانضمام إليها .. وجاء (يورى) خلفًا لشقيقه ، بعقل يتأرجح بين العبقرية والجنون ، وقرر أن يستعيد هيبة (المافيا) الروسية ومكانتها ..

وبمنتهى العنف ..

وكان أسلوبه ناجحًا وعبقريًا للغاية ، حتى إنه جعل (أدهم) وفريقه هدفًا لكل القوى فى (روسيا) .. الرسمية والإجرامية ..

ومع براعة خطته ، سقط الكل فى قبضته ..

الكل ، فيما عدا (أدهم) نفسه ..

(أدهم) ، الذى استعاد وعيه فى لحظة الخطر ، وتحول إلى وحش كاسر ، مع سقوط رفاقه فى قبضة الشيطان الروسى ..

وواجهت (المافيا) الروسية أقوى وأشرس مقاتل عرفته ، فى تاريخها كله ..

ولكن زعيمها كانت لديه خطط أخرى ..

خطط أكثر وحشية ..

وقسوة ..

وشيطانية ..

وبضربة بارعة ، استولى على كمية رهيبة ، من مخزون غاز الأعصاب القاتل ، من المخازن العسكرية الروسية ..

وأصبح العالم كله فى قبضة وحش ..

وحش آدمى ، لا يعرف الرحمة أو الشفقة ..

وفى الوقت الذى يقاتل فيه (أدهم) ، لاستعادة رفاقه ، كان (يورى) يثبت للعالم كله قسوته ، ويبيد القرى بغاز الأعصاب بلا رحمة ..

وأصبح الموقف خطرًا ..

إلى أقصى حد ..

وفى سجنهم ، حاول رفاق ـ (أدهم) البحث عن وسيلة للفرار ، فى نفس الوقت الذى بدأت فيه المخابرات

المصرية تفكر ، في إسناد عملية غاز الأعصاب لأقوى رجالها ..

لـ (أدهم صبرى) ..

(رجل المستحيل) ..

و ...

ارتفع رنين الهاتف الخاص بـ (زوشا) فجأة ، فانتزع (عدى) من أفكاره ، وجعله يلتفت إليها بحركة حادة ، وهي ترفع هاتفها إلى أذنها ، قائلة في لهفة :

ـ من يتحدث ؟!

انعقد حاجباها في شدة ، وهي تستمع إلى محدثها ، على نحو أدرك معه (عدى) أنها تتلقى خبرًا مهمًا للغاية ، فأشار إلى خبير الاتصالات الفنلندى فى صرامة ، قائلاً :

ـ اذهب الآن .

أسرع الرجل يغادر الحجرة بخطوات أقرب إلى العدو ،

وكأنما ينتهز الفرصة للفرار من وجه (عدى) ، في لحظة جنونه الرهيبة هذه ، في حين سأل هذا الأخير حارسته في صرامة عصبية :

ـ ماذا هناك ؟!

أبعدت سماعة هاتفها عن أذنها ، وهي تقول في انفعال :

ـ المصرى .

هتف بها :

ـ ماذا عنه ؟!

أشارت بيدها دون معنى ، وهي تهتف بكل انفعالها :

ـ عند (جباروف) .

اشتعلت عيناه بكل انفعال الدنيا ، وهو يهتف :

ـ عنده .

ثم اختطف منها هاتفها في قسوة ، وهتف عبره بكل صرامته الشرسة :

- هنا (بوريس) .. الزعيم .. استمع إليّ جيدًا يا رجل ، ونفّذ ما سآمرك به فورًا .

راح يلقي أوامره ، لضمان السيطرة على الموقف ، في مقر (فيدور جيباروف) ، الزعيم الفرعي لمنظمة (المافيا) الروسية ، وتأكيد سقوط (أدهم) ، دون أن يسأل عن التفاصيل ، أو يعلم أن عمالقة (جيباروف) كانوا يحيطون بخصمه المصري بالفعل ، ويصوبون إليه فوهات أسلحتهم ، في تحفّز وحش ، فيما بدا وكأنه فخ محكم وقاتل ..

حتمًا[*] ..

* * *

(*) لمزيد من التفاصيل ، راجع الأجزاء الأربعة الأولى (السلسلة) ، لـ (المغامرة الكبرى) (معركة القلب) و (الضحايا) .. المغامرات أرقام (١٣٥) ، و (١٣٦) ، و (١٣٧) ، و (١٣٨) .

ارتجّ جسد (جيباروف) البدين ، مع تلك الضحكة الظافرة ، التي انطلقت عقبه مجلجلة من حلقه ، وهو يرى (أدهم) وسط رجاله ، الذين ارتفعت فوهات أسلحتهم ، وكل خلية في أجسادهم تتحفّز للقضاء عليه ، و ...

وفجأة ، اقتحم جسد قوي المكان ..

رجل قوي البنية ، مفتول العضلات ، يتدلّى بحبل متين من أعلى البناية ، دفع جسده بقدميه إلى الخلف ، ليرتد بعدها نحو النافذة الزجاجية الكبيرة ، لحجرة مكتب (جيباروف) ويقتحمها بمنتهى العنف والقوة ..

ومع دوي تحطُّم زجاج النافذة الكبيرة ، استدار العمالقة إليها ، واحتبست ضحكة (جيباروف) في حلقه ، واتسعت عيناه عن آخرهما ، وشفتاه تنتفضان في ذهول بلغ ذعره منتهاه :

- مستحيل !!

وقبل حتى أن تكتمل كلمته ، كان القائم ينقض على العمالقة كالإعصار ، وينضم إليه الآخر ، في قتال رهيب ، يبلغ أقصى حد عهده (جيلروف) المذهول من العنف ..

فأمام عينيه الجاحظتين ، وفكه الذي يتدلى ليمتزج بعنقه المكتنز ، كانت هناك نسختان من (أدهم صبري) تهاجمان عمالقته ..

بل تحطمهم تحطيمًا ..

فلقد كان للمفاجأة وقع مذهل ، على الحدث كله ..

وانتفض جسد (جيلروف) البدين كله ، وهو ينتزع نفسه من ذهوله ، ويلطم في عصبية مفرطة ، ويده تقفز نحو درج مكتبه ، في محاولة لالتقاط مسدسه :

- هذا الشيطان المصري المخادع ! لقد ..

لم تكن أصابعه لامست مقبض مسدسه بعد ، عندما التصقت فوهة مسدس باردة بصدغه ، مع صوت صارم ساخر ، يقول :

- هل أدهشتك المفاجأة أيها الوغد البدين ؟!

اتسعت عينا (جيلروف) في رعب ذاهل ، وهو يحدق في عمالقته الأشداء ، الذين تناثروا على أرضية حجرة مكتبه ، محطمي الأنوف والفكوك والأسنان ، قبل أن يرفع عينيه إلى (أدهم) الواقف أمامه ، والذي انتزع عن وجهه قناعًا مطاطيًا ، وهو يقول للآخر ، الذي يلصق فوهة مسدسه الباردة بصدغه :

- مدهش .. لقد وصلت في اللحظة المناسبة بالضبط يا سيادة العميد ، فلو لم تقتحم النافذة في هذا التوقيت بالتحديد ، لكانت نهايتي ولاشك .

أشار (أدهم) بيده ، وهو يجيب زميله (مدحت) :

- إنه توفيق من الله (سبحانه وتعالى) .

زفر (مدحت) ، قبل أن يبتسم في توتر ، قائلاً :

- من حسن الحظ أن هذا البدين لم يلتق بسيادتك أو بالجنرال (كوليسكي) من قبل ، وإلا لميّز اختلاف الصوت من الوهلة الأولى .

لم يفهم (جيلاروف) حرفًا واحدًا مما نطقاه ، وهو ينقل بصره بينهما في ذعر ، قبل أن يقول في انبهار :

- مستحيل ! كيف ؟! كيف فعلت هذا ؟!

أجابه (أدهم) في سخرية :

- مجرد استغلال للطبيعة الإجرامية في أعماقكم ، أيها الوغد البدين .. فظهور زميلي متنكرًا بهيئتي ، ومن فوقها هيئة ذلك الخائن (كوليسكي) ، وتصورك أنك قد كشفت أمره بعبقريتك وذكائك الوهميين ، أفقدك الحذر ، وأسلب رجالك بزهوة الظفر ، مما أتاح لي التسلل إلى سطح بنايتك ، واقتحام حجرتك على هذا النحو .

حاول (جيلاروف) أن يتماسك ، وهو يقول في توتر لا محدود :

- لن .. لن يمكنك أن تربح هذه المرة .. ر.. رجالي أطلقوا (يوري) ، ولاريب أنه في طريقه إلى هنا ، في هذه اللحظة .

هز (أدهم) كتفيه في لامبالاة ، وقال :

- لا بأس .. مهمتنا هنا لن تستغرق وقتًا طويلاً .

ثم اكتسى صوته بصرامة قاسية مباغتة ، وهو يجذب إبرة مسدسه ، مستطردًا في خشونة ، وبصوت يتجمد له الدم في العروق :

- أين رفاقي أيها الوغد ؟!

ازدرد (جيلاروف) لعابه في صعوبة ، وهو يقول :

- لن أخبرك أبدًا ، حتى لو ..

قبل أن يتم عبارته ، خفض (أدهم) فوهة مسدسه بحركة سريعة ..

ثم ضغط الزناد ..

ومع دوي الرصاصة ، شعر (جيلاروف) بآلام رهيبة في كفه اليسرى ، فانطلقت من حلقه صرخة هائلة ، وهو يرفع يده المحطمة ، التي تنزف منها الدماء في غزارة ، ويحدق فيها برعب ..

ويطلق السرعة، عاد (أدهم) يلصق فوهة مسدسه، التي التهبت مع خروج الرصاصة، بصدغ (جيوروف)، وهو يقول بصوت رهيب مخيف:

- يبدو أنك لم تستوعب الأمر جيدًا أيها الحقير. إننا نتحدث عن رفاقي ... عن كل ما لي في الحياة. وحياتك كلها لن تساوي قلامة إظفر لأحدهم، فإما أن تخبرني أين أرسلتهم، أو لن أتورع عن تحطيم جسدك قطعة قطعة، حتى أظفر منك بما أريد.

هتف (جيوروف)، بكل الذعر والألم:

- لا ... لا يمكنني أن أفعل ... (يوري) سيقتلني لو فعلت.

صاح به (أدهم) في قسوة:

- وأنا سأقتلك لو لم تفعل.

هزّ (جيوروف) رأسه في عنف، صائحًا:

- لا .. لا يمكنني أن ..

بتر صيحته دوي رصاصة أخرى، هشمت ركبته اليمنى، فصرخ ..

وصرخ ..

وصرخ ..

وفي توتر، قال (مدحت)، وهو ينظر في ساعته:

- الوقت يمضي بسرعة يا سيادة العميد، ودوي الرصاصات سيجتذب باقي رجاله حتمًا.

لم يبد حتى أن (أدهم) قد سمعه، وهو يعود ليلصق فوهة المسدس بصدغ (جيوروف)، قائلاً بكل صرامة الدنيا:

- للفرصة الثالثة والأخيرة أيها الوغد البدين. إما أن تخبرني أين أرسلت رفاقي، أو أنسف رأسك الفارغ بلا رحمة.

وانعقد حاجبا (مدحت)، وهو يطالع هذا المشهد بقلق وتوتر بالغين ..

كان من الواضح أن (أدهم صبري) قد ألقى كل شيء في الوجود خلف ظهره؛ لأن الأمر يتعلق برفاقه.

بكل من يحب، في الدنيا كلها .

شقيقه

وحبيبته

وصديق عمره ..

ومن تبقى من أول فريق لتدريبه وقاده، منذ عمل بالمخابرات ..

وقد خسر ثالث أفراد الفريق بالفعل .

وهو غير مستعد لخسارة أي مخلوق آخر ..

أي مخلوق ..

ومهما كان الثمن ..

وقد بدا (جيوروف) كطفل مذعور، وهو يلوّح بيده المطبقة، ويبذل قصارى جهده، لتجاوز تلك الغصة في حلقه، قائلا بصوت مرتجف :

- أ ... لينك . (ليننجراد)

سأله (أدهم) في قسوة أكثر :

- أين في (ليننجراد) ؟!

تعالى في تلك اللحظة وقع أقدام ثقيلة، تعدو نحو الحجرة، فأشار (مدحت) بيده، قائلا في توتر :

- لقد أتوا .

أدار (جيوروف) عينيه إلى الباب في لهفة وأمل، في حين تجاهل (أدهم) الموقف كله، وهو يجذب إبرة مسدسه، ويكرّر بقسوة وخشونة عنيفين

- أين في (ليننجراد) ؟ أين الوغد البدين ؟

اقترب وقع الأقدام أكثر وأكثر، فهتف (مدحت) :

- سيادة العميد .

استدار إليه (أدهم) بحدة غير طبيعية، وصاح بعصبية :

- كلاّ .. لن تنصرف، قبل أن أحصل على العنوان، أو أقتل هذا الوغد البدين كخنزير أجرب حقير

عبارته الروسية جعلت (جياروف) ينكمش في
مقعده، بكل رعب الدنيا، وهو يهتف:

- سأخبرك .. سأخبرك فوراً

في نفس اللحظة، التي هتف فيها بعبارته هذه،
كان الرجال، الذين أرسلهم (يورى)، قد بلغوا
المكان، وصاح قائدهم في صرامة:

- تذكروا أوامر الزعيم .. لا رحمة مع العدو.

مع آخر صيحته، اندفع الرجال كلهم نحو باب حجرة
مكتب (جياروف)، وانقضوا عليه، فحطموه بأجسادهم
القوية، قبل أن ترتفع فوهات مدافعهم الآلية، لتنطلق
الرصاصات القاتلة كالمطر، في كل مكان بالحجرة الواسعة

بلا استثناء ..

* * *

« أيها القتلة الأوغاد .. »

صرخت (منى) بالعبارة في ارتياع، وهي تثب نحو
(قدرى)، الذى سقط كالحجر، بعد أن أصابته رصاصة

(زيون)، عملاق (المافيا) الروسية، والمسئول عن
مخازن (جياروف) في (ليننجراد)، وهتف الدكتور
(أحمد صبرى)، وهو يحل أزرار قميص (قدرى)
في سرعة:

- صدمت .. أريد أي شيء يصلح كضمادات بسرعة.

فانتزع (شريف) قميصه، وناوله إياه، هاتفاً:

- هل يصلح هذا ؟!

أما (ريهام)، فقد رفعت وجهها وعينيها الغاضبتين
إلى (زيون) في مقت، في حين غمغم أحد الحارسين،
المرافقين لذلك الأخير، في قلق شديد

- الزعيم أمر بالحفاظ على حياتهم

زمجر (زيون)، قائلاً في شراسة:

- إلا عند محاولتهم الفرار

قال الحارس الآخر في حدة:

- وهل فعلوا ؟!

استدار إليه (زيون) ، قائلاً في صرامة غاضبة :

- كانوا يخططون لهذا!

هتف الأول :

- ومن أدراك ؟!

صاح به (زيون) في شراسة

- إنك أقول هذا .. هل من اعتراض ؟

صاح به الحارس الثاني في غضب :

- نعم .. إنني أعترض .. وبشدة

رفع (زيون) فوهة مدفعه الآلي ، وهو يقول في وحشية

- فليكن

ثم ضغط الزناد ، مستطردًا

- فلنقض على الجبهة المعترضة إذن

لتنطلق رصاصاته تحصد الرجل ، وتنتزعه من مكانه ،

لتقلعه في الخلف لأربعة أمتار كاملة ، مع عنف الرصاصات ، حتى ارتطم بالجدار ، وسقط جثة هامدة ، تاركًا بقعة كبيرة من الدم خلفه .

وبكل غضب الذئب ، صرخ الحارس الآخر :

- لقد قتلته أيها الوغد .. لقد قتلته

استدار إليه (زيون) كالوحش الكاسر ، وهو يصرخ

- الحق به في الجحيم إذن .

رفع الحارس فوهة مدفعه بسرعة ، ولكن (زيون) أطلق رصاصاته أولاً ، ورآه تخترق جسد زميله ، وتلقيه أرضًا ، لتتدفق الدماء من إصاباته بمنتهى العنف

وفي غضب هائل ، زادته رائحة الدم جنونًا ، رفع مدفعه الآلي ، وتألقت عيناه كالوحوش ، وهو يقول

- أرأيتم أيها الغبيين ؟! كل هذا من أجل حفنة من المصريين ؟!

يا للسخافة ! يا للغباء !!

ثم تحوّل بريق عينيه إلى لون دموى مخيف ، وهو يضيف :

- من الواضح أنهم سيسببون لك مشكلات بلا حدود

جذب إبرة مدفعه الآلى ، مستطردًا :

- حتى يذهبوا إلى الجحيم .

اقتحم ثلاثة من الرجال المكان ، فى تلك اللحظة ، وأحدهم يصرخ :

- ماذا حدث ؟!

لم يكد يطلق صرخته ، حتى لمح جثتى الحارسين ، فاتسعت عيناه عن آخرهما ، وارتفع مدفعه الآلى بحركة غريزية ، وهو يهتف :

- يا للـ ..

صاح به (زيون) فى وحشية قبل أن يتم هتافه

- اخرج .. اخرجوا جميعًا .

حدّق الرجلان الآخران فى الجثتين ، فى حين حدّق ثالثهم فى (زيون) ، الذى أطلق رصاصات مدفعه فى سقف المكان ، صارخًا بكل الغضب والصرامة

- إلى الخارج .

أسرع الرجال الثلاثة يغادرون المكان ، وكلهم حيرة وقلق ، وأغلق آخرهم الباب خلفه ، فانعقد حاجبا (زيون) الكثّان ، وهو يكرّر :

- لا بد أن يموتوا جميعًا .

ثم استدار بكل عصبيته ، وجنونه ، وفوهة مدفعه الآلى القاتلة ، ودفع باب سقف مخزن الغلال بقدمه ، و ...

ودوت الرصاصات فى المكان .

بكل العنف .

* * *

٢ ـ القاتلون ..

« لكني أعرف هذا الرجل .. »

غمغم أحد مرشدي الشرطة المصرية بتعبيرة ، وهو يتطلع إلى صورة القتيل ، الذي انتهت إليه تحريات ، بشأن حوادث غاز الأعصاب في (مصر) ، فمال نحوه أحد قيادات الشرطة ، يسأله في صرامة :

ـ ما كل معلوماتك عنه ؟!

بدا المرشد متوترًا ، وهو يشير بيده ، مجيبًا :

ـ إنه نصف يوناني ، ونصف فرنسي ، يقيم في (مصر) منذ مولده ، ولكنه يمتلك بارًا في (الإسكندرية) ، ويقدر ثروته هو وباعته ، و ..

قاطعه أحد اللواءات في حدة :

ـ إنك لم تذكر اسمه بعد



وبطء شاب يسقط نحو الفلاة خلفه و
ودوت الرصاصات في تكاثر

ازدرد المرشد لعابه في صعوبة ، قبل أن يجيب :

ـ لست أعرف اسمه الحقيقي ، ولكن كنا نخاطبه باسم (جريكو) ، نظرًا لأن

دفع أحدهم نحوه ورقة كبيرة وقلمًا ، قبل أن يتم حديثه ، وقال بصوت هادئ للغاية ، بخلاف الآخرين

ـ دوّن كل ما تعرفه هنا .

التقط المرشد القلم والورقة ، وهو يتطلع إلى ذلك الرجل ، الذي يرتدي ثيابًا مدنية ، والذي بدا مختلفًا بشدة عن الآخرين ، وتمتم :

ـ كل ما أعرفه ؟!

وعلى عكس الآخرين أيضًا ، منحه الرجل ابتسامة هادئة ، وهو يومئ برأسه ، قائلاً في حزم :

ـ كله .

تردد المرشد بضع لحظات ، ثم اندفع بغتة يكتب كل ما يعرفه عن (جريكو) هذا

ويكتب ..

ويكتب ..

نصف ساعة كاملة ، دوّن خلالها كل ما لديه من معلومات ، عن القتيل نصف اليوناني ، قبل أن يناولهم الورقة ، قائلاً بتوتر شديد :

ـ هذا كل شيء .

مد أحد رجال الشرطة يده إلى الورقة في لهفة ، ولكن ذلك المدني الهادئ استوقفه بإشارة صارمة ، قبل أن يتطلع إلى المرشد في هدوء ، قائلاً :

ـ راجع ما كتبته جيدًا ، وأضف كل ما تتذكره ، ولا تغفل أية ملحوظة ، مهما بدت لك تافهة

همس أحد رجال الشرطة في عصبية

ـ إننا نضيع الوقت بهذا .

أجابه المدني في هدوء حازم :

ـ بل نربح الوقت يا رجل .

ثم عاد يلتفت إلى المرشد ، ويقول في هدوء ، لم يخل هذه المرة من الصرامة .

— راجع ما كتبته .

استعاد المرشد الورقة ، وراح يقرأ كل ما كتب ، ثم بدأ يضيف كلمة هنا ، وأخرى هناك ، ومعلومة بين السطور ، وهكذا ، فمال المحقق على رجل الشرطة ، هامسًا

— رأيت معلومة صغيرة إضافية ، قد توفر يومًا كاملاً في البحث والتحري

غمغم رجل الشرطة بابتسامة عصبية .

— فهمت

انتهى المرشد من المراجعة ، وسلمهم الورقة ، فالتقطها المحقق هذه المرة ، وقرأها في عناية بالغة قبل أن يشير إلى المرشد ، قائلا

— ابق في الجوار ، فقد نحتاج إليك مرة أخرى

نهض المرشد ، مغمغمًا في توتر :

— بالتأكيد .. بكل تأكيد

لم يكد يغادر الحجرة ، حتى وضع رجل المخابرات الورقة على المنضدة ، وقال لقيادات الشرطة من حوله :

— الآن قد وضعنا يدنا على بداية الخيط أيها السادة

قالها ، وهو يشير إلى عبارة أضافها المرشد بين السطور

عبارة تحوي معلومة صغيرة

صغيرة جدًا

* * *

كان الغضب — كل الغضب — يملأ كيان العملاق الثائر (ريغن) ، وهو يمسح بفوهة مدفعه الآلي داخل صومعة الغلال ، وقد اتخذ قراره بقتل كل رفاق (أدهم) .

بلا استثناء ..

وفى أعماقه، كان واثقا من أن هذه العملية لن تستغرق سوى دقيقة واحدة، على الأكثر.

فالصومعة محكمة، ولها سقف مرتفع، ومن بداخلها لا يحملون أية أسلحة، ولا يوجد ما يمكنهم الاختباء خلفه، و...

ولكنه أهمل عاملا واحدا، شديد الأهمية والخطورة

أن من دخل الصومعة ليسوا أشخاصا عاديين..

إن أربعة منهم ينتمون إلى المخابرات العامة المصرية

ونصفهم من المقاتلين..

لذا، فما إن دخل (ريون)، لتصفية رفاق (أدهم)، حتى فوجئ بحذاء كبير ينطلق نحوه، ويرتطم بوجهه مباشرة..

ومع عنف الارتطام، تراجع جسده بحركة حادة، وهو يطلق صرخة ألم، مع سباب ساخط.

وبحركة غريزية، ضغطت سبابته زناد مدفعه الآلى، فانطلقت رصاصاته تدوى فى عنف.

وتضاعف غضب القاتل، وهو يعتدل، ويمسح وجهه فى حدة، صارخا:

- هل تتصورون أن هذا سينقذكم من يدى، أيها المصريون الـ...

قبل أن يتم عبارته، ارتطم شىء ما بساقه، ثم التف حولها بسرعة، فانحنى بنظرة سريعة عصبية عليه

ومن النظرة الأولى، أدرك (ريون) أن أسراه قد مزقوا ملاءة عادية، وصنعوا منها ما يشبه الحبل، واستخدموا ما صنعوه، مع حذاءى (فخرى) الضخمين، لصنع سلاح بدائى، قذفته (منى) نحو ساقه، ليلتف حولها فى إحكام..

وبغضب أكثر، انحنى (ريون) ليحل الحبل عن ساقه، وهو يهتف:

- يا للسخافة! هل اعتقدتم أنكم ستربحون المعركة، بزوج من الأحذية، وحبل؟!

لم تكد عبارته تكتمل، وقبل حتى أن يلمس الحبل،

كان (شريف) و(ريهام) و(منى) يتعاونون، لجذب الحبل في قوة، فختل معها توازن العملاق، فنطلق سبابًا ساخطًا آخر، و...

وفجأة، وجد نفسه يهوي عبر تلك الفتحة في السقف ..

ومن ارتفاع خمسة أمتار، ومع صرخة محدودة، هوى العملاق الروسي، ليرتطم بأرضية الصومعة في عنف، تفجرت معه الآلام، في كل ذرة من جسده

وبثورة عارمة، حاول (ريون) أن ينهض، هاتفا

- أيها الـ ..

ولكن (منى) وثبت نحوه، وركلته في أنفه ركلة كالقنبلة، هاتفة:

- إنني أفضل كثيرا المواجهات المباشرة

ثم لحقت بها (ريهام)، وركلته في فكه، صائحة

- وخاصة مع الأوغاد مثلك.

كانت الضربتان من العنف، بحيث تكفيان لإسقاط ثور، وعلى الرغم من هذا فقد أطلق (ريون) زمجرة ألم عصبية، وهو ينهض، صارخًا.

- لن ينجو أحدكم من قبضتي .. لن.

قبل أن تكتمل عبارته، قفز (شريف) يختطف مدفعه الآلي. ثم رفعه ليهوي به بكل قوته على رأس العملاق، هاتفا:

- وماذا عن قبضتنا نحن ؟!

جحظت عينا (ريون)، مع عنف الضربة، وانتفض جسده كله في قوة، وتجمد كيانه كله دفعة واحدة، وتفجرت الدماء من رأسه في غزارة، قبل أن يهوي كالحجر، وسط بركة من الدم ..

وفي لهفة، استدارت (منى) إلى الدكتور (أحمد)، هاتفة:

- كيف حال (فخري) ؟!

أجابها في توتر:

- بدانته منعت الرصاصة من بلوغ قلبه ، ولكنه مازال بحاجة إلى إسعاف عاجل ، وتدخل جراحي سريع .

انعقد حاجباها ، وهي تقول في حزم .

- سنبذل قصارى جهدنا لنحصل عليهما

ثم انحنت لتنتزع الحبل المصنوع من قطع الملاءة ، و(شريف) يسأل في عصبية .

- والآن ماذا ؟!

أجابته (منى) في حسم :

- سنسعى للخروج من هنا .

سأل في توتر شديد :

- كيف ؟!

التقطت المدفع الآلي من يده ، وراحت تعقد طرف الحبل عند منتصفه ، وهي تجيب في حزم ، لم يخل من العصبية والتوتر :

- سنحاول تقليد ما يمكن أن يفعله (أدهم) ، في ظروف مماثلة .

غمغم (شريف) في انبهار :

- حقًا ؟!

أما (ريهام) ، فتساءلت في حذر .

- وما الذي يمكن أن يفعله الأستاذ ، في موقف كهذا .

تراجعت يد (منى) ، الممسكة بالمدفع الآلي ، وهي تجيب في حزم صارم .

- هكذا .

قالتها ، وأطلقت المدفع بكل قوتها ، نحو تلك الفتحة بالسقف ..

ومع قوة الدفع ، عبر المدفع الآلي للفتحة ، إلا أنه عاد يسقط منها ، عائدًا إلى داخل الصومعة ، فغمغمت (ريهام) :

- آه .. فهمت .

واعتدل (شريف) ، قائلاً في حزم .

- لو أنك تحاولين فعل ما تصورته . فالأفضل أن تلقى المدفع نحو ركن الفتحة .

تألقت عينا (منى) ، وهي تقول :

- هذا صحيح .

ومرة أخرى ، ألقت المدفع الآلي بكل قوتها ، نحو ركن فتحة السقف ، وراقبه الجميع يعبر الفتحة ، ثم يسقط بعيدًا عنها ، والحبل يمتد إلى ركنها ، فهتفت (ريهام) :

- الآن دعينا نسحب الحبل في حذر

استغرقت العملية ثلاث دقائق كاملة ، حتى أصبح المدفع الآلي عند ركن الفتحة تمامًا ، وطرفاه معلقان بزاوية الركن ، فزفرت (منى) ، متمتمة :

- أخيرًا .

وهتف الدكتور (أحمد)

- هل وجدتم سبيلا للخروج من هنا ؟!

أجابته (منى) في حزم :

- تقريبًا .

ثم التفتت إلى (شريف) ، مستطردة بلهجة آمرة :

- أنت أقلنا حجمًا ووزنًا ... هل يمكنك تسلق الحبل إلى الخارج ؟!

اتجه فورًا إلى الحبل ، وهو يجيب في حماسة :

- بالتأكيد .

قالها ، وبدأ يتسلق الحبل على الفور ، فغمغمت (ريهام) في توتر :

- المدفع لن يحتمل ثقله طويلاً

غمغمت (منى) بدورها ، وهي تراقبه في قلق

- المهم أن يحتمل ، حتى يبلغ الفتحة

كان (شريف) يتسلق الحبل بسرعة وخفة ، على الرغم من أنه لم يتدرب طويلا على مثل هذه الأمور ، باعتباره مدنيا ، تلقى ما يكفي لأداء مهمته بحسب

ومن أعلى ، دوت فرقعة مكتومة ، ومالت ماسورة المدفع الآلى قليلا ، فشهقت (ريهام) فى ذعر ، فى حين صمتت (منى) فى عصبية

- تحتملى .. تحتملى بالله عليك .. عشر ثوان أخرى أرجوك .

تعلق (شريف) بالحبل أكثر ، وراح يدفع جسده إلى أعلى ، فى حين مالت ماسورة المدفع الآلى أكثر وأكثر وانفتك ، و ...

وفجأة انفلتت الماسورة من ركن الفتحة ..

واتسعت عينا (منى) و (ريهام) عن آخرهما فى ذعر ، عندما سقط المدفع مع الحبل دفعة واحدة ..

لقد كان هذا يعنى ضياع الأمل فى الخروج من هذا القبو الرهيب ..

آخر أمل ..

* * *

انعقد حاجبا (يورى) فى شدة ، وهو يتلقى محادثة هاتفية ، من قائد فريق القتلة المحترفين ، الذى أرسله لمواجهة (أدهم) ، فى مقر (جباروف) ، وقال فى صرامة غاضبة ، قبل أن ينهيها :

- فليكن .. أبلغنى بالتطورات أولا فأولا .

أشعل سيجارته فى عصبية ، وهو يلقى هاتفه المحمول على المنضدة الصغيرة أمامه ، ويتراجع فى مقعده ، وقد رسم التوتر والغضب ملامحهما على وجهه فى وضوح ، فسألته (زوشا) فى حذر :

- هل .. هل تخلصوا منه ؟!

هز رأسه نفيا فى حدة ، ثم نفث دخان سيجارته فى قوة ، قائلا :

- الأغبياء اقتحموا الحجرة ، وأطلقوا النار دون تمييز ، فقتلوا (فيدور) ، ثم لم يعثروا على أثر للمصرى

ارتفع حاجباها فى دهشة ، وهى تقول :

- أين ذهب إذن ؟!

لوح بذراعه في غضب ، هاتفا :

ـ ماذا دهاك يا (زوش) ؟ رجل كهذا سيجد حتما ألف وسيلة للفرار ، مادام أغبياؤنا قد وصلوا متأخرين ، ومادام الغضب والحمق قد أعمى عيونهم وعقولهم ، إلى الحد الذي يغفلون معه حقيقة ، بدلا من حصده سيخرج عبر ممرات التهوية ، من السطح من أي مكان ، وكأنه شبح لا ترصده عيونهم .

قالت في توتر بالغ :

ـ ولكن مصرع (جيوروف) سيثير مشكلات لا حصر لها .

هتف في حدة :

ـ سنصبها كلها على رأس المصري

ثم عاد ينفث دخان سيجارته ، قبل أن يضيف ، في تفكير عميق :

ـ ولكن هناك عدة نقاط ، ينبغي أن نتوقف عندها

سألته في اهتمام حذر :

ـ مثل ماذا ؟!

بدا عليه التفكير أكثر ، وهو يتراجع محاولا الاسترخاء في مقعده ، وينفث دخان سيجارته في بطء ، ويشير بيده ، قائلا :

ـ أولا لماذا اختار (فيدور) بالتحديد ؟!

غمغمت في حذر أكثر :

ـ لقد هاجم (بن) من قبل

هز رأسه نفيا في بطء ، وقال ، وكأنه يتحدث إلى نفسه

ـ ولكنه لم يطلق النار على كتفه وركبته ، كما فعل مع (فيدور)

والتقى حاجباه بشدة ، مع لحظة الصمت ، التي لاذ بها ، قبل أن يتابع في بطء شديد

ـ كما لو أنه يجبره على الاعتراف بشيء ما

قالت ، وقد بلغ حذرها منتهاه :

ـ (جباروف) لن يخبره بأي شيء ، حتى لو قطعوه في مقتٍ عجيب !

ـ (جباروف) سينهار ويعترف ، لو أنهم قلّموا أظفاره ، ولكموه مرة واحدة في كرشه الضخم

تساءلت في قلق :

ـ هل تعتقد هذا ؟!

عاد ينفث دخان سيجارته في بطء ، ويشير بسبّابته ، قائلاً :

ـ ولكنه لم يحصل على ما يريد من (فيدور)

شعرت بحيرة كبيرة ، وهي تسأله :

ـ وكيف يمكنك أن تجزم ؟!

استدار إليها في بطء ، وتطلّع إليها مباشرة ، وعلى الرغم من هذا فقد بدا كمن يتحدث إلى نفسه ، وهو يجيب :

ـ لأنه استولى على هاتف (فيدور) المحمول

وقبل أن تلقي سؤالاً آخر ، سحب نفسًا عميقًا من سيجارته ، قال في صرامة ، على نحو يوحي بأنه يدلي بحقيقة ، لا تقبل الجدل :

ـ إنه يبحث عن رفاقه .

وازداد انعقاد حاجبيه ، وهو يضيف في غضب :

ـ لقد استوعب بعض الحقائق ، من ذلك الفيلم .

تساءلت ، وقد تصاعدت حيرتها :

ـ أي فيلم ؟!

مع شدة انعقاد حاجبيه ، بدا لها وكأنهما قد اتحدا ، حتى امتزج ، وهو يعتصر تفكيره في صمت تام ، قبل أن يعتدل فجأة ، ويلتقط هاتفه المحمول مرة أخرى ، قائلاً في صرامة :

ـ لقد عرف كيف يتوصل إليهم

ثم تألقت عيناه ، وهو يضرب أزرار الهاتف ، مستطردًا في وحشية :

- وعندما يذهب إليهم لابد أن تكون في انتظاره .

وأدار عينيه إليها مرة أخرى ، وهو يضيف :

- وأن تكون هذه هي الجولة الحاسمة .

وتضاعف تألق عينيه الدموي ، مع استطرادته الوحشية

- والأخيرة .

وانتفض جسد (روشا) ، من قمة رأسها ، وحتى أخمص قدميها

لقد بدا من الواضح أن المواجهة الحاسمة قد أصبحت قاب قوسين ..

أو أدنى ..

* * *

« كولونيل (كوربوف) .. »

هتف (كوليبسكي) بالاسم في غضب هادر ، وهو يقف أمام مكتبه ، في مقر مبنى المخابرات الروسية ، فتوقف (سيرجي) ، والتفت إليه في برود ، قائلا :

- ماذا تريد يا جنرال ؟!

بدا (كوليبسكي) ثائرا ، وهو يهتف في وجهه :

- اللعبة التي تلعبها لن تفلح أبدا يا كولونيل (كوربوف)

سأله (سيرجي) في برود أكثر :

- أية لعبة يا جنرال ؟

صاح (كوليبسكي) في حدة :

- اللعبة الحقيرة ، التي تحاول من خلالها انتزاع الثقة مني ، والفوز بكل ما حققته أنا ، طوال السنوات الماضية ، لعبة التهميش ، بخصصاته لمنظمة (العقاب) الروسية

عقد (سيرجي) ساعديه أمام صدره ، وهو يسأله ببرود كالثلج .

- وهل أنت عميل تهتم بالنقص يا جنرال ؟!

صاح (كوليبسكي) ، على نحو أقلق كل العاملين بالطابق .

- كلا بالطبع أيها الحقير.

غادر الكل حجراتهم، ووقفوا في الممر، يتطلعون في قلق إلى الرجلين، و(سيرجي) يقول في برود، تسللت إليه لمحة ساخرة:

- لماذا القلق والغضب إذن؟!

امتقع وجه الجنرال (كوليسكي) في غضب، وسحب مسدسه في حركة عصبية، هاتفًا:

- أيها الـ...

وقبل أن يتمّ عبارته، انقضّ عليه (سيرجي كوريوف) فجأة، وأمسك معصم اليد التي سحبت المسدس، ورفعها إلى أعلى، وهو يدفع الجنرال أمامه في خشونة، ليلصقه بالجدار، ويقترب بوجهه منه، قائلاً في صرامة مخيفة:

- نعم يا جنرال (كوليسكي).. أنا أتهمك بالحماقة والخيانة أيضًا.. وأتهمك بتدبير محاولة قتلي، وإلصاق التهمة بـ (أدهم صبري) ورفاقه.

فاندفع الرجال نحوهم، في محاولة لفضّ الاشتباك، وهتف أحدهم في قلق:

- كولونيل (كوريوف).. جرحك تنزف بشدة.

لم يبد على (سيرجي) أنه قد سمع ما قاله الرجل، أو أنه يهتم بالدماء التي أغرقت قميصه، وهو يصيح في وجه (كوليسكي):

- ولن أهدأ حتى أسحقك سحقًا يا جنرال

قال (كوليسكي)، بكل مقت الدنيا:

- وأنا سأقتلك يا كولونيل.. أنت الآن رجل ميت.. اعتبر نفسك كذلك.

التقت عيونهما، بنظرة تحمل كل المقت والتحدي من الجانبين، و(سيرجي) يقول:

- سنرى يا جنرال.. سنرى.

وترك معصمه، ليتراجع بحركة متعجلة، ثم اندفع يبتعد عبر الممر، في حين هتف (كوليسكي) بالرجال من حوله:

- أوليتم ؟! هل شهدتم ماحدث ؟! كولونيل يعتدى على جنرال .. كلكم شهود على هذا!

ثم استدار يلوّح بيده الممسكة بالمسدس ، صارخًا :

- سأحاكمك يا (كوريوف) .. سأحاكمك .

ولكن (سيرجى) لم يتوقف لحظة واحدة ، بل واصل طريقه بكل ثبات وحزم ..

في رأسه ، كان يدور الكثير ..

والكثير جدًا .

* * *

التقط (مدحت) نفسًا عميقًا ، وهو يدلف مع (أدهم) إلى المقر السرى لمركز المتابعة والمراقبة المصرى ، في قلب (موسكو) ، وهتف :

- يا إلهى .. لم أتصور أبدًا أننا سنعود سالمين

لم يعلّق (أدهم) على عبارته ، وهو يناول (سامى) هاتف (جيروم) المحمول ، قائلا بلهجة آمرة حازمة :

- أريد تقريرًا مفصلاً عن كل أرقام الهواتف ، المسجلة هنا .

قال (سامى) في حماسة :

- هذا يحتاج إلى بعض الوقت .

قال (أدهم) في صرامة :

- ابذل أقصى جهدك ، فكل دقيقة لها ثمنها الآن .

ثم اتجه إلى حجرته بخطوات واسعة حازمة ، وهو يتساءل :

- أما زالت (نانيا) نائمة ؟!

أتاه صوتها مفعمًا بالنعاس ، وهي تقول :

- أنا هنا

توقّف (أدهم) ، والتفت إليها ، وهي تقف بباب حجرتها ، وقال بالروسية :

- لقد نطقت سؤالى بالعربية .

تثاءبت في إرهاق ، قائلة :

ـ ولكنا لم نفهم منه سوى لمحة

تابعها ببصره ، وهي تتجه نحو حجرة المعيشة ، وتلقي نفسها على الأريكة في إنهاك ، متسائلة :

ـ هل عثرت على رفاقك ؟!

أجاب في تخاذل :

ـ علمنا أنهم في (ليننجراد) ، ولكننا لم نتوصل إلى التفاصيل بعد

انعقد حاجباها ، وهي تتثاءب مرة أخرى ، قبل أن تقول :

ـ (ليننجراد) ؟! إنها منطقة نفوذ (جباروف)

عبارتها الأخيرة جعلتهم يتبادلون نظرة دهشة متوترة ، قبل أن يسألها (أدهم) ، في بطء وحذر :

ـ ألديك فكرة جيدة عن تنظيم (المافيا) الروسية ؟!

تثاءبت للمرة الثالثة ، وهي تشير بيدها ، قائلة

ـ كنت أزمع تقديم برنامج عنهم ، وجمعت كل ما أمكنني من المعلومات ، ولكن رؤسائي رفضوا الفكرة تمامًا

ثم هزت رأسها ، وكأنها تتخلص النعاس عن وجهها ، قبل أن تتساءل في اهتمام مفاجئ :

ـ إنه (جباروف) .. أليس كذلك ؟!

اقترب (أدهم) منها ، وسألها في اهتمام :

ـ لو أنه هو ، فأين يمكن أن يخفيهم في (ليننجراد) ؟!

بدت عليها علامات التفكير ، وهي تجيب :

ـ يوجد مكانان صالحان فحسب .. معمل الألبان ، الذي يمتلكها شرق (ليننجراد) ، أو صوامع الغلال ، على بعد كيلو مترين ، من مدخل المدينة الرئيسي

اعتدل (أدهم) ، وانعقد حاجباه ، وهو يتمتم

ـ على بعد كيلو مترين !!

ثم التفت إلى (سامي) ، قائلاً :

- ابحث عن رقم صومعة القتال هذه ، في هاتف (جباروف) .

أشار (سامي) بسبابته ، مجيبًا في حماسة

- لقد أجرى اتصاله بها سبع مرات ، خلال اليومين الماضيين ، وتلقى منها ستة اتصالات

هتف (ممدوح) :

- إنها هي !

قال (أدهم) ، وهو يفكر في عمق

- المكان مثالي ومناسب تمامًا ، ولكن

صمت قبل أن يتم عبارته ، فسأله (ممدوح) في قلق حذر :

- ولكن ماذا ؟!

بدا صوت (أدهم) أكثر قلقًا منه ، وهو يقول :

- خصمنا ذكي أكثر من اللازم ، على الرغم من

جنونه ، وعندما يعلم أننا قد هاجمنا (جباروف) ، واستولينا على هاتفه المحمول ، سيدرك هدفنا على الفور ، وهذا يعني أن الوقت ليس في صالحنا

نقلت (ناديا) بصرها بينهما في حيرة ، وهي لا تفهم شيئًا من حديثهما بالعربية ، في حين تساءل (ممدوح) في توتر :

- ألا توجد وسيلة لبلوغ (فيلتنجراد) ، بأقصى سرعة ممكنة ؟!

أجابه (سامي) :

- المسافة من (موسكو) إلى (فيلتنجراد) تزيد على الألف كيلو متر ، ولا توجد طائرات إلى هناك قبل مساء اليوم ، وأية وسيلة أخرى للسفر ، مهما بلغت سرعتها ، ستحتاج إلى خمس ساعات على الأقل .

هز (أدهم) رأسه نفيًا ، وقال في توتر حازم :

- لو صح ما أخشاه ، فليست لدينا ساعة واحدة

هتف (سامى) :

ـ ساعة واحدة ؟! يا إلهى ! لكى تبلغ (ليننجراد) بهذه السرعة ، ينبغى أن تنطلق أسرع من الصوت .

تألقت عينا (أدهم)، وهو يردد .

ـ أسرع من الصوت ؟!

الأسلوب الذى نطق به العبارة ، جعل الثلاثة يلتفتون إليه فى انفعال ، حتى (ناديا) ، التى لم تفهم حرفًا واحدًا مما نطقه ..

أبرق عقله ، وتلك الانفعالات القوية ، التى انعكست بوضوح على وجهه ، كانت تنشأ بقوة عن تلك الفكرة ، التى تألقت بشدة فى رأسه ..

الفكرة المجنونة ..

تمامًا .

* * *

٣ ـ بين الغيوم ..

بمنتهى العنف ، اقتحم رجال الشرطة المصرية ذلك الوكر ، فى أطراف (القاهرة) ، وأطلق قائدهم رصاصات مسدسه فى الهواء ، وهو يهتف فى صرامة :

ـ فليثبت كل فى مكانه .. أية حركة ستطلق النار على صاحبها مباشرة .

امتقعت وجوه كل رواد الوكر ، وألقى معظمهم من يده ما يحمله من مخدرات ، فى حين تراجع شخص نحيل طويل فى توتر ، ثم لم يلبث أن دار على عقبيه ، وانطلق يعدو عبر باب خلفى ، بأقصى سرعته ، فهتف قائد فريق الاقتحام

ـ أريده حيًا

وثب أحد ضباط العمليات الخاصة عبر المكان ، واندفع عبر الباب الخلفى ، ليعدو خلف ذلك النحيل ..



استدار النحيل في حدة وعصبية ، واستل من حزامه خنجرا ، حاول أن ينقض به على الضابط

وبكل دعوة ، راح النحيل يصرخ ، ويصرخ ، وهو يلهث في عنف ، وأنفاسه تتقطع ، مع ضعف جسده ، بسبب السموم المخدرة ، التي اعتاد تناولها

وقبل أن تمضي دقيقة واحدة ، لحق ضابط الشرطة بالنحيل ، ووضع يده على كتفه في صرامة ، قائلا بقوة :

- لا تحاول يا رجل .

استدار النحيل في حدة وعصبية ، واستل من حزامه خنجرا ، حاول أن ينقض به على الضابط ، الذي أمسك معصمه بحركة قوية سريعة ، ولواه في قوة ، وهو يقول في صرامة :

- المقاومة ستزيد موقفك صعوبة أيها الحقير

ثم هوى على فكه بلكمة ، مستطردا

- ولديك بالفعل ما يكفي

انهار النحيل ، وراح يبكي في عنف ، والضابط يدفعه أمامه في خشونة ، عائدا إلى الوكر ، ثم يقول لقائده في حزم

- تم تنفيذ المهمة .

أشار إليه القائد ، قائلاً :

- إنه مسئوليتك الآن .. ستصطحب الآخرين إلى مديرية الأمن ، وخذ أنت الرجل إلى غرفة عمليات الطوارئ فوراً .. إنهم ينتظرونه الآن .. وأسرع بالله عليك ، فلكل ثانية ثمنها .

لم تمض على قوله هذا دقائق عشر ، حتى كان المتحول يرتجف في ارتياع ، وهو يقف أمام ثلاثة من قيادات الشرطة ، ورجل المخابرات في ثيابه المدنية ..

وفي صرامة ، قال أحد قيادات الشرطة :

- (ثروت صبران) .. الشهير بـ (المصري) .. مروّج مخدرات ، مسجل خطر ، ومطلوب في ثلاث قضايا

لم يفهم مروّج المخدرات الصغير ، لماذا يهتمّ ثلاثة من قيادات الشرطة بأمره ، ولماذا يتمّ إحضاره إلى هذا المكان ، الذي يوحي كل ما فيه بالأهمية والخطورة ، على الرغم من أنه ليس أحد كبار تجار المخدرات ، ولكنه ، وعلى الرغم من حيرته ، غمغم في رعب :

- تحت أمرك يا سعادة اللواء .

مال آخر من قيادات الشرطة ، ليسأله في صرامة أكثر :

- أنت موزّع المخدرات الرئيسي للمهرّب (جريكو) .. أليس كذلك ؟!

انكمش (ثروت) على نفسه في خوف ، وهو ينقل بصره الزائغ بين الجميع ، مجيباً في حذر زائد متوتر :

- (جريكو) ؟! ومن (جريكو) هذا ؟! لم أسمع به من قبل !

اشتعلت عيون رجال الشرطة غضباً ، حتى تمنّى الرجل لو انشقت الأرض وابتلعته ، لولا أن نهض رجل المخابرات ، وقال في هدوء ، بدا عجيباً للغاية ، وسط الموقف شديد التوتر :

- معذرة أيها السادة .. هل يمكنكم أن تتركوني وحدي بعض الوقت ، مع السيد (ثروت) .

لقب (السيد) هذا أثار حفيظة قيادات الشرطة ، ودهشة مروّج المخدرات البالغة ، على نحو جعله

يحدق في وجه رجل المخابرات بذهول خالف حذر ،
في حين قال أحد قيادات الشرطة ، في غضب لم
يستطع إخفاءه :

ـ فليكن .. إنه لك .

ثم أضاف ، وهو يتجه مع رفاقه إلى الخارج :

ـ مادام في هذا مصلحة الوطن .

ابتسم رجل المخابرات ، وكأنه يدرك أن طبيعة
عمل الشرطة تختلف حتماً ، عن طبيعة عمل
المخابرات ، والتفت حتى أصبح وحده فعلياً مع
مروّج المخدرات النحيل في الحجرة ، قبل أن يمنحه
ابتسامة هادئة ، وهو يشير إلى مقعد قريب ،
قائلاً :

ـ اجلس يا (ثروت) .

تراجع المروّج ، وهو يسأله في خوف حذر .

ـ ماذا ستفعل بي ؟!

تجاهل رجل المخابرات السؤال تماماً ، وهو يميل
نحوه ، قائلاً ، بنفس الهدوء العجيب ، والابتسامة
لاتفارق شفتيه :

ـ نحن نعلم بأمر علاقتك بـ (جريكو) ، وبأنك الموزّع
الخاص للمخدرات له ، ولكن هذا لا يعنينا في الوقت
الحالي ، حتى إننا لن نوجه إليك أية اتهامات بشأنه

تطلع إليه النحيل في شك ، وهو يتساءل في حذر .

ـ لماذا فعلتم كل هذا إذن ؟!

هز رجل المخابرات كتفيه ، وقال في هدوء

ـ كان من الضروري أن نحضرك

ثم نظر في عينيه مباشرة ، وأضاف في بساطة .

ـ لماذا لا تجلس لنتحدث أفضل ؟!

بدت لهجته ، على الرغم من بساطتها ، حازمة آمرة ،
حتى إن النحيل قد جلس في آلية ، وهو يتمتم :

ـ (جريكو) كان مجرد زبون

سأله الرجل في صرامة مباغتة :

ـ لماذا استخدمت كلمة (كان) ؟!

ارتبك (ثروت) ، وهو يقول في عصبية

ـ إنني لم أقصد شيئًا ، ولم

مال رجل المخابرات نحوه بحركة حادة ، وقال في صرامة شديدة :

ـ لماذا يا (ثروت) ؟!

اتسعت عينا مروّج المخدرات في رعب ، ثم لم يلبث جسده كله أن ارتجف ، ودمعت عيناه بشدة ، وانخفض صوته حتى بلغ حافة الهمس ، وهو يقول :

ـ أنا لم أقتله ... أقسم لك

تراجع رجل المخابرات في بطء ، وهو يسأله :

ـ من فعلها إذن ؟!

هز رأسه في قوة ، وانحدرت دموعه على وجهه ، وهو يقول

ـ لست أدري ... لست أدري

ثم توقف بغتة ، مضيفًا في توتر عصبي :

ـ ربما .

نطقها ، ثم توقف دفعة واحدة ، فقال رجل المخابرات يستحثه ، في هدوء :

ـ ربما ماذا ؟!

رمقه الشحين بنظرة مشوبة بالحذر ، وهو يقول :

ـ هناك ذلك الرجل الآخر ... الذي اتصلت به ، في الأيام الأخيرة .

تألقت عينا رجل المخابرات ، وقال في اهتمام :

ـ الرجل الآخر ؟! أي رجل آخر .

تردد (ثروت) لحظة ، ثم اندفع يقول :

ـ رجل أشقر ، يتحدث دائمًا في صرامة ، وعيناه تلتمعان على نحو مخيف . لست أدري كيف كنا نتحدث ، فاللغة التي استخدمها غير مألوفة ... ربما هي البولندية أو

قال رجل المخابرات في حزم .

ـ أو الروسية .

ارتفع حاجبا (شروت) ، وكأنما أدهشه القول ، وقال :

ـ نعم .. أعتقد إنها كذلك .. إنها تحمل لكنة تلك الراقصة .. التي .

قاطعه رجل المخابرات ، في حزم أكثر

ـ هل تعرف أين يقيم ذلك الأشقر ؟!

هزّ النحيل رأسه في قوة ، قائلاً :

ـ كلا . أقسم لك .. كلا

تراجع رجل المخابرات ، وتطلّع إلى النحيل بنظرة حادة صارمة ، فكرّر هذا الأخير في انهيار .

ـ أقسم لك .

ظل رجل المخابرات المصري يتطلّع إليه بضع لحظات ، قبل أن يسأله

ـ هل يمكنك أن تصف ذلك الأشقر بدقة ؟!

حدّق فيه النحيل لحظة في دهشة ، قبل أن يجيب في حذر

ـ نعم . أعتقد هذا

تألّقت عينا رجل المخابرات ، وهو يقول .

ـ عظيم

بالنسبة إليه ، كانت هذه خطوة جديدة ، تجعلهم أكثر قربًا من الهدف

الهدف الذي يتحتّم بلوغه ، قبل أن تحين لحظة الصفر

وإلا

* * *

على الرغم من آلامه ومتاعبه ، وجراحه التي اضطرته لإحاطة وسطه كله بالضمادات ، وقف (سيرجي كوربوف) ثابتًا ممشوقًا ، في حجرة مكتب

(فيدور جيروف)، التي تحركت إلى بركة من الدم، بعد رفع جثة هذا الأخير منها، واستمع في اهتمام إلى أحد الحراس المصاحبة، وهو يقول في عصبية.

- الزائر كان يدعى (كوليسكي)، الجنرال (جوزيف كوليسكي).. اسمه وصورته مسجلان في كمبيوتر الأمن عند المدخل.

انعقد حاجبا (سيرجي) الكثين، وهو يقول:

- الجنرال (كوليسكي)؟! ولكن هذا مستحيل يا رجل!

مستحيل تماماً!! ففي التوقيت الذي ذكرته، كنت شخصياً مع الجنرال (كوليسكي) في الإدارة.

أومأ الحارس الضخم برأسه متفهماً، وتحسس كدمة كبيرة في فكه، قبل أن يقول في انفعال:

- هذا صحيح بالتأكيد، فالزعيم أطلق إشارة الخطر، ثم حاصرنا ذلك الزائف، وانتزعنا عن وجهه قناعاً،

قبل أن يتم كلمته، أشار إليه (سيرجي) في حزم، قائلاً:

- فهمت.

وعاد حاجباه ينعقدان وهو يضيف:

- ولكن هذا عجيب للغاية.

أدار عينيه مرة أخرى في المكان، قبل أن يقول في صرامة:

- إنه لم يكن قط دموياً.

ثم استدار إلى الحارس الضخم، مستطرداً في شراسة:

- لذا فهناك أمر لم تذكره بعد.

قال الحارس في صرامة عصبية:

- لقد ذكرت كل ما حدث، ولن -

فجأة، انقض عليه (سيرجي)، ولكمه في معدته

بكل قوته ، ثم هوى على فكه وأنفه بلكمتين عنيفتين سريعتين ، قبل أن ينتزع مسدسه من حزامه في صرامة ، ويلصق فوهته بأسفل ذقن الرجل ، قائلاً في غضب هادر :

ـ ربما كانت لدى وسيلة لإنعاش ذاكرتك أيها الوغد ، فإما أن تفصح عن كل ما تعرفه ، وإلا حقنتك بمصل الحقيقة هذا ، الذي سيرسلك إلى الجحيم بالسرعة المستعجل ..

امتقع وجه الحارس ، وهو يقول في عصبية :

ـ هذا التصرف غير قانوني يا كولونيل

دفع (سيرجى) فوهة مسدسه في قسوة أكثر ، وهو يقول :

ـ عظيم . قدم شكوى بهذا إلى شياطين الجحيم .

قالها ، وسحب إبرة مسدسه في حزم صارم ، جعل الحرس يهتف :

ـ مهلاً لم أقل : إننى لن أخبرك

دفع (سيرجى) فوهة مسدسه بقسوة أكثر وأكثر ، وهو يقول :

ـ عظيم . كلى آذان مصغية

لم تكد شفتا الحارس تتفرجان ، حتى اندفع أحد رجال (سيرجى) إلى المكان ، وهو يهتف .

ـ خبر مذهل يا كولونيل .

قالها ، وتوقف لحظة ، يحدق في المشهد بدهشة ، فصاح به (سيرجى) في صرامة شديدة :

ـ أى خبر ؟!

مال الرجل على أذنه ، وهمس بالخبر ، فانعقد حاجبا (سيرجى) في شدة ، وغمغم :

ـ مستحيل !

فما أخبره به الرجل ، كان يندرج حتمًا تحت خانة المستحيل !

وبكل المقاييس ..

* * *

« انتباه ! »

انطلق جندي الحراسة، في المطار الحربي القديم، على بعد عشرة كيلومترات من (موسكو) فهتف في قوة، وهو يضرب كعبيه ببعضهما، ويشد قامته في وقفة عسكرية صارمة، فور رؤيته للسيارة، التي توقفت أمام البوابة الرئيسية مباشرة، والتي تحمل على مقدمتها علم (روسيا)، مع لوحات تفيد بانتمائها إلى مؤسسة الرئاسة هناك..

وفي حزم من اعتاد إلقاء الأوامر، أطل قائدها برأسه، من النافذة المجاورة له، وناول الجندي بطاقة هوية خاصة، وهو يقول:

- الجنرال (ماليكوف).. افتح البوابة

التقط الجندي البطاقة، وتطلع إليها بضع لحظات في اهتمام، ثم دسها في جهاز خاص، فحص الشريط المغناطيسي داخلها، قبل أن يضيء مصباح أخضر صغير في الجهاز، معلنا صحة البطاقة، فأعادها الجندي إلى الجنرال في احترام، قائلا في حذر

- معذرة يا سيدي الجنرال، ولكن الأوامر تحتم معرفة سبب الزيارة

تراجع الجنرال، قائلا في صرامة شديدة

- التفتيش.

لم يستوعب الجندي الأمر، خاصة وأن هذا المطار لا يحوي سوى بضع طائرات، من طراز (ميج)، يعود طرازها إلى أواخر الثمانينات، ولم تعد تستخدم إلا في عمليات البحث ودوريات مراقبة الحدود فحسب، إلا أنه، وأمام الموقف المباشر، وعلى الرغم من حداثته، لقدوم جنرال على هذا المستوى، دون سائق خاص يقود سيارته، لم يكن يملك سوى فتح البوابة أمام السيارة، وتأدية التحية العسكرية بكل قوة.

وفي هدوء، عبر الجنرال البوابة بسيارته، فقال الجندي في اهتمام:

- هل ترغب في لقاء الطيارين يا سيدي الجنرال؟!

أجابه الجنرال في صرامة

- كلا.. الطائرات فحسب.

مرة أخرى لم يفهم الجندي الأمر أو يستوعبه، إلا أنه اكتفى بهز رأسه، وبالسخط في أعماقه، عن هذه التصرفات العشوائية، لرجال القيادة.

أما الجنرال نفسه، فقد انطلق بسيارته عبر الفور إلى ممرات الإقلاع، وأوقفها إلى جوار ثلاث طائرات (ميج) مقاتلة، فالتفت إليه رجال الفحص والصيانة في حيرة قلقة متسائلة، إلا أنه غمغم في سخرية، وهو يغادر السيارة في هدوء حازم

- (أدهم) هنا عبقري بحق.. الهوية العسكرية التي صنعها، خدعت حتى أجهزة الفحص الإلكترونية

اتجه في صرامة نحو الطائرات، وأشار بيده للفنيين، قائلا:

- أيها مستعدة للإقلاع ؟!

أجابه أحدهم، في شيء من الحذر، صحبته غرابة الموقف:

- هذه.. لقد تم تزويدها بصواريخ، وخزان وقودها ممتلئ، وتمت مراجعة دوائرها

مطّ (أدهم) شفتيه، متقمصًا شخصية الجنرال الروسي الصارم العريق، الذي لا يرضيه شيء، ثم اتجه نحو الطائرة، وتسلق سلمها القصير، قائلا بصرامة أكثر.

- ولماذا وحدها ؟! المفترض أن تكون كل الطائرات مستعدة ومتأهبة للإقلاع دومًا !

تبادل الرجال نظرة حائرة متوترة، قبل أن يجيب أحدهم، في حذر أكثر

- هذه الطائرات لم تعد مقاتلة بالمعنى المفهوم ياسيدي الجنرال.

دسّ (أدهم) جسده داخل كابينة القيادة، وهو يقول في صرامة:

- من قال هذا ؟!

انعقدت حواجب الرجال في توتر شديد، عندما أدار محرك الطائرة بالفعل، وتبادلوا نظرة شديدة العصبية، قبل أن يهتف أحدهم:

- سيدي الجنرال.. هذا غير قانوني

صاح به (أدهم)، في صرامة شديدة:

ـ اصمت

ثم أغلق كابينة القيادة، وهو يدفع المقود إلى الأمام، فبدأت الطائرة تتحرك على الممر، مما ضاعف من توتر الرجال وعصبيتهم، وبخاصة عندما اندفع أحد الطيارين خارج استراحتهم، صائحًا في ذعر.

ـ ماذا يحدث هنا؟!

دفع (أدهم) المقود إلى الأمام أكثر، فزادت سرعة الطائرة على ممر الإقلاع، وصاح الطيار، وهو يعدو خلفها:

ـ أوقفوا الطائرة.. يا إلهي! ماذا يحدث هنا؟! ماذا يحدث هنا؟!

في هذه اللحظة فقط، أدرك الرجال أن مخاوفهم وشكوكهم كانت في محلها، وأصابتهم حالة من الارتباك، جعلتهم يعدون في كل الاتجاهات بلا هدف، في حين اندفع الطيار نحو طائرة أخرى، وهو يصرخ

ـ أطلقوا إنذار الطوارئ.. أخطروا القاعدة المركزية فورًا.

ووثب إلى الطائرة، مواصلاً في ارتياع.

ـ يا إلهي! كيف يمكن أن يحدث هذا؟! كيف؟!

انطلق هتافه الأخير، في نفس اللحظة التي ارتفعت فيها طائرة (أدهم) عن الأرض، وسيارات أمن المطار تطاردها في استماتة، وقائدها يصرخ.

ـ أطلقوا النار.. امنعوه من الإقلاع بأي ثمن

انطلقت الرصاصات خلف الطائرة كالمطر، لكن (أدهم) جذب إليه المقود في قوة ومهارة، فأقلعت (الميج)، وانطلقت في سماء (موسكو)..

ومن خلفها، انطلقت الطائرة الثانية، وارتفعت بدورها، وقائد أمن المطار يصرخ، بكل غضب الدنيا:

ـ إنها كارثة! فضيحة! كيف يمكن أن تسرق مقاتلة حربية هكذا، في وضح النهار؟! أريد إجراء تحقيق عاجل.. فورًا.

صاحت صرخته في الهواء، مع دوي محركات (الميج) الثانية، وهي تنقض خلف (أدهم)، الذي انطلقت طائرته بتسارع منتظم، في اتجاه الشمال الغربي

نحو (نيتلجراد) تماماً..

ولأن الطيار الروسي الذي يطارده، طيار محترف فهم أدرك ما يعنيه الانطلاق في هذه الزاوية بالتحديد، والتقط مسماع جهاز الاتصال اللاسلكي، ليهتف:

- إنذار عام .. إنذار عام . مجهول نجح في اختطاف مقاتلة من طراز (ميج).. من مطار القوات (X-1). المقاتلة تتجه مباشرة نحو (نيتلجراد). استعدوا لاعتراضها.

استقبل جهاز اللاسلكي، في طائرة (أدهم) المريقة، الرسالة نفسها، فارتسمت على شفتيه ابتسامة عجيبة، لاتتناسب قط مع دقة الموقف، وكأنما استعاد مشاعر افتقدها طويلاً، وغمغم:

- يبدو أنك ستضطر لبعض العبث بـ (أدهم)

قلبها، وزاد من سرعة مقاتلته، لتبلغ ما يقارب سرعة الصوت، وقد تألقت عيناه ببريق مدهش

بريق رجل يستعيد حياة، افتقدها لردح من الزمن

وعبر أجهزته، رأى المقاتلة الأخرى تتسارع بدورها، وتقدها ويناور لينقض عليه مباشرة، فجذب مقود طائرته، وارتفع بها أكثر وأكثر، ليخترق الغيوم الكثيفة، وينطلق بينها بعض الوقت

وبدوره، انطلق الطيار الروسي خلفه، وهو يغمغم:

- ماذا يتصور أنه يفعل؟! إنها مناورة قديمة كالدهر

رغم أجهزته كلها، وهو يخترق السحب، وينطلق نحو الشمال الغربي، وواصل في شيء من التوتر

- من سوء حظ ذلك القرصان، أنه يجهل أن طائرته هي الوحيدة، التي لم يتم تزويدها بعد بأجهزة الكشف والتوجيه الحديثة.

قالها ، وهو يضغط زرًا صغيرًا أمامه ، فأضيئت شاشة متوسطة ، وظهر عليها ظل أحمر ، يحدد مواقع طائرة (أدهم) ، وارتفاعها ، واتجاهها ، و . .

وتألقت عينا الروسي ، وهو يقول :

ـ سيؤسفني كثيرًا أن أسقط طائرة جميلة كهذه ، ولكن هذا مصيرها لأنها تُسرق .

وضغط زرًا آخر ، فانطلق أحد صاروخي الطائرة ، نحو طائرة (أدهم) ..

مباشرة ..

* * *

بهدوء عجيب ، رفع (أسعد) ، مدير مكتب المخابرات المصرية في (موسكو) عينيه يتطلع إلى (سيرجي كوربوف) ، الذي دلف إلى زنزانته ، قبل أن يبتسم في مزيج من السخرية والإرهاق ، قائلًا :

ـ ماذا حدث ؟! هل عجز الجنرال (كولمسكي) عن مواصلة إهانتي ، فأسندوا الأمر إليك يا كولونيل

رمقه (سيرجي) بنظرة باردة ، وتجاهل سؤاله الساخر تمامًا ، وهو يجلس على طرف الفراش الصغير الوحيد بالحجرة ، قائلًا :

ـ (أدهم) يقاتل هذه المرة كالوحوش .

كان من التقليدي أن ينفي (أسعد) الأمر ، بل وأن ينكر حتى معرفته بـ (أدهم) ، إلا أنه ، وعلى العكس من هذا ، أجاب في حزم :

ـ من أجلكم

والمدهش أيضًا أن (سيرجي) قد وافقه بإيماءة من رأسه ، قائلًا :

ـ هذا صحيح .

وصمت لحظة ، وسط دهشة (أسعد) ، ثم عاد يضيف في صرامة :

ـ ولكنهم يجهلون هذا .

انعقد حاجبا (أسعد) ، وهو يسأله في حذر :

ـ هل تدركه أنت ؟!

صمت (سيرجي) طويلاً هذه المرة، وكأنما يستشير عقله حول الجواب المناسب، قبل أن يتجاهل الأمر برمته، ويقول:

- لقد تجاوز الحدود كلها هذه المرة

خفق قلب (أسعد) مع العبارة، وهو يتساءل بمنتهى الحذر:

- ماذا فعل ؟!

تراجع (سيرجي)، وهو يقول في بطء:

- لقد اختطف مقاتلة حربية.

اتسعت عينا (أسعد)، وهو يهتف في ذهول

- اختطف ماذا ؟!

مطّ (سيرجي) شفتيه، وكأنما يشعر بعدم الحاجة لإجابة التساؤل الذاهل، واكتفى بالتلويح بيده، فغمغم (أسعد)، والذهول لم يفارقه بعد:

- وكيف يمكن أن يفعل هذا ؟! أين نظم الأمن والحراسة ؟!

هزّ (سيرجي) رأسه، قائلاً:

- هذا لن يوقف (أدهم).

ثم نهض من مكانه، وبدا وكأنما يقاوم غضباً مكبوتاً في أعماقه، قبل أن يتابع:

- وهناك الفساد أيضاً.

ردد (أسعد) في حذر:

- الفساد ؟!

أجابه (سيرجي)، وقد بدا شارداً، على غير المألوف:

- نعم.. الفساد.. الفساد الذي استشرى في مجتمعنا، حتى تسلل إلى كل شيء وكل مكان.. فمشكلة الفساد الرئيسية هي أنه يتحول مع إهماله إلى تنين هائل، لا يعود باستطاعتك التصدي له، أو حتى مواجهته.. تنين يلتهم كل إنجازاتك ومنجزاتك بلا رحمة.

ثم نظر إلى (أسعد)، مستطرداً في صرامة بلا حدود.

- لذا فمن واجب كل رجل شريف أن يتصدى له، بمنتهى العنف والقوة والحزم

طمأنه (أسعد)، وقد بهرته تلك الانفعالات، التي تموج بها كلمات (سيرجي).

- بكل تأكيد.

واعتدل، وهو يعقد حاجبيه، مضيفًا في حزم:

- وبأسلوب شريف أيضًا.

تطلع إليه (سيرجي)، مكررًا تعليقه السابق:

- بكل تأكيد.

قالها، ثم دسّ يده في جيبه، وأخرج منه جواز سفر (أسعد) الدبلوماسي، وناوله إياه، قائلًا في حسم:

- هيا بك ستخرج من هذا المكان، الذي لا يليق بزميل.

التقط (أسعد) جواز سفره في حذر، وهو يقول:

- وماذا عن (أدهم)؟!

صمت (سيرجي) بعض الوقت، قبل أن يجيب في حزم صارم:

- سيبذل قصارى جهده.

لم يكد ينطقها، حتى ارتفع رنين هاتفه الخاص،

فالتقطه من جيبه في سرعة، وقال في برود صارم:

- ماذا هناك؟!

وانعقد حاجباه للحظات في شدة، وهو يستمع إلى محدثه، قبل أن يقول في صرامة، تمتزج بلمحة عصبية، يصر أن تتسلل إلى نبراته:

- سأتابع هذا الموقف بنفسي أريد معرفة التفاصيل أولاً فأولاً كل التفاصيل، مهما بدت بسيطة، أو حتى تافهة.. هل تفهم؟!

لم يكد ينهي المحادثة، حتى هتف به (أسعد)، بكل لهفة وتوتر الدنيا:

- ماذا حدث؟!

أدار (سيرجي) إليه عينين ملتهبتين، وهو يجيبه بكلمة واحدة:

- كارثة.

وهوى قلب (أسعد) بين قدميه..

بمنتهى العنف.

* * *

٤ ـ الانفجار ..

فجأة ، انطلق المدفع الآلي من ركن فتحة السقف ، في صومعة الغلال ، على مشارف (فيننجرك) ، ووجد (شريف) نفسه يسقط ، مع آخر أمل في النجاة من ذلك الموقف الرهيب ..

وبسرعة عقل اعتاد التفاعل مع أنظمة الكمبيوتر ، أدرك (شريف) طبيعة الموقف وخطورة الفشل .

وبحركة آلية غريزية ، دفع جسده إلى الأمام ، وهو يطلق شهقة عنيفة ، كادت تتحول إلى صرخة قوية ، من شدة ذعره وارتياعه ، وخوفه من السقوط ، بعد أن بلغ هذه المرحلة ، التي جعلته قاب قوسين أو أدنى من النجاة .

لثوان ، خيل إليه أن جسده سيسقط أرضًا ، وأن الفتحة ستبتعد

وتبتعد

وتبتعد

ولكنه ، وبدلاً من هذا ، رآها تقترب ، كما لو أن يدًا ضخمة قد دفعته إلى أعلى ، في محاولة أخيرة يائسة ..

ثم لامست أصابعه طرف الفتحة

وانقبضت لحظة واحدة ..

وتعلّق بإطارها ..

وبكل قوته ..

اتسعت عيون (منى) و(ريهام) ، وهما تحدقان في (شريف) ، الذي تعلق بإطار الفتحة بيد واحدة ، وهتف ، وهو يلهث في قوة :

ـ يا إلهي ! يا إلهي ! يا إلهي

هتفت (ريهام) :

ـ يدك الأخرى يا (شريف) .. لقد فعلتها .. ادفع جسدك وستبلغ الفتحة .. هيا .

كان (شريف) يلهث في عنف، وهو معلق في هذا الوضع، ولكن هتاف (ريهام) جعله يستنفر ما تبقى من قواه، ويدفع جسده إلى أعلى، حتى أمسك الإطار بيده الأخرى، فصاحت (منى):

- هيا يا (شريف).. هيا.. أنت أملنا الوحيد، بعد الله (سبحانه وتعالى).. هيا..

كل ذرة في كيانه كانت ترتجف، توترًا وإرهاقًا، ولكن ما قالته (منى) جعله يدفع جسده أكثر..

وأكثر..

وأكثر..

- هيا يا (شريف)... هيا...

كل عضلة في جسده راحت ترتجف، وعيناه التهبتا بالعرق الغزير الذي يتصبب على جسده كله، وأنفاسه تلاحقت، وتسارعت..

- افعلها يا بطل.. دفعة أخيرة.. هيا.. هيا..

والتقط (شريف) نفسًا عميقًا، ثم دفع جسده تلك الدفعة الأخيرة، ووثب إلى القمة



وهناك ، ألقى جسده أرضًا ، وراح يلهث فى عنف ، غير مصدّق أنه قد فعلها … أما داخل الصومعة ، فقد هتفت (منى) وهى تطلق من أعمق أعماق صدرها تنهيدة منتهية ، حملت كل ما جاش به صدرها من انفعالات :

- حمدًا لله .

وبفرحة تمتزج بشىء من الزهو والتقدير ، هتفت (ريهام) :

- لقد فعلها .. لقد فعلها .

هتفت بها الدكتور (أحمد صبرى) من خلفها .

- أسرعوا بالله عليكم .. لست أدرى إلى أى عمق وصلت الرصاصة ، فى صدر (قدرى) ، وكل ثانية لها ثمنها

أعادت إليهما كلماته توترهما ، فهتفت (منى) :

- (شريف) … أأنت بخير ؟!

لهث ، وهو يعتدل ، قائلاً :

- بالتأكيد .. بالتأكيد .

هتفت به :

- ابحث عندك عن أية وسيلة ، لإخراجنا من هنا

تلفت حوله فى لهفة ، قبل أن يقول فى انفعال :

- يوجد حبل كبير هنا ، ولكننى لا أجد ما يمكننى تثبيته فيه .

صاحت (ريهام) :

- ابحث عن أى شىء بالله عليك … أى شىء

راح يبحث فى لهفة ، ولكن المكان بدا خاليًا ، إلا من جثتى الحارسين الصريعين ، ومدفعيهما الآليين ، ولم يكن هناك أى بروز فى الجدران أو الأرضية ، يمكن تثبيت أى حبل فيه ، فعاد إلى الفتحة ، قائلاً فى توتر بالغ :

- لا يوجد سوى مدفعين آليين .. هل يمكنك أن نستخدمهما معًا ، كدعامة للصعود ، كما فعلت مع المدفع الأول ؟!

هتف الدكتور (أحمد) في حدة :

- ربما يصلح هذا للبحث ، ولكنه لن يصلح حتماً لإخراج السيد (قدري) من هنا .. إنني لست أدري حتى كيف أخطوه إلى هنا ، فهذا يحتاج إلى ونش صغير .

انعقد حاجبا (منى) ، وهي تقول :

- فليكن .. افعل ما اقترحت يا (شريف) ، وسنصعد إليك ، (ريهام) وأنا .. ثلاثة أفضل من واحد بالتأكيد ، لإيجاد حل لهذه الأزمة .

هتف الدكتور (أحمد) :

- أسرعي بالله عليك يا (منى) .. إنني أكاد أموت رعباً ، من احتمال أن نفقد (قدري)

ازداد انعقاد حاجبيها ، وهي تقول في شيء من العصبية ، مع كثير من الحزم :

- لن نفقده بإذن الله .

أسرع (شريف) يلتقط المسدسين الآليين ، وربطهما ببعضهما في إحكام ، وعلى نحو معكوس ، بحيث التصقت ماسورة كل منهما بكعب الآخر ، ثم وضعهما عند ركن الفتحة ، وثبتهما جيداً ، قبل أن يلقي الطرف الآخر للحبل داخل الصومعة ، قائلاً في توتر :

- هيا .. أسرعوا .

لم تكد الكلمة تتجاوز شفتيه ، حتى ارتفعت طرقات قوية متتابعة على باب المكان ، مع صوت خشن ، يهتف في توتر :

- (زيون) .. أين أنت ؟! لماذا لايعمل هاتفك ؟! الزعيم حاول الاتصال بك أكثر من مرة

ارتجفت كل ذرة في كيان (شريف) ، وهبّ واقفاً ، وهو يتطلع إلى الباب في قلق ، في حين واصل صاحب الصوت الخشن في حدة :

- إنه غاضب بشدة ، ويريد التحدث إليك فوراً .. أين أنت يا (زيون) .. لماذا لاتجيب يا رجل ؟!

استدار (شريف) إلى الفتحة ، وهتف بـ (منى) ، التي تعلقت بقميص

- هيا .. أسرعا .. أسرعا .

ولكن صاحب الصوت صاح في عصبية بالغة

- ماذا حدث بالداخل ؟! كلا .. لن أنتظر أكثر

امتزجت كلماته بدوي رصاصات مدفعه الآلي ، التي مزقت رتاج الباب ، في لحظة من اقتحامه له بمنتهى العنف ، فتراجع (شريف) في سرعة ، وهو يرفع ذراعيه لحماية وجهه وجسده ، وسمع الروسي يصرخ ، في مزيج عصبي من الدهشة والغضب والاستنكار :

- ماذا حدث هنا ؟!

خلص (شريف) ذراعيه ، وتحرك حركة متوترة ، دون هدف محدود ، فارتفعت فوهة مدفع الرجل نحوه بحركة غريزية ، وارتسم على وجهه مقت وحشي ، وهو يهتف :

- أيها الـ ..

ودون حتى أن يكمل عبارته ، ضغط زناد مدفعه

واتسعت عينا (شريف) عن آخرهما ، عندما انطلقت الرصاصات كالمطر ..

أو كالدم ..

* * *

منذ بدء عملها معه ، وعلاقتها به ، لم تر (روضا) (نوري) أكثر توترا من تلك اللحظات ، وهو يدور في مكتبه في بناية كبيرة عتيقة ، تطل على الميدان الأحمر الشهير في (موسكو) ، وينفث دخان سيجارته كقطار قديم ، يكاد مخزونه من الفحم ينفد بعد كيلومترات قليلة

كان من الواضح أن هناك سرا يشغله ويقلقه بشدة ، على نحو يفوق كل المرات الأخرى .

أمر يحتاج إلى اتخاذ قرار حازم وحاسم

وفوري ..

هذا لأنه لم ينبس بحرف واحد ، طوال اثنتي عشرة دقيقة كاملة ، قضاها على هذا النحو .

وكأنها تعرف طبيعته المتقلبة جيدًا، وتخشى ردود فعله العنيفة دومًا. فقد لاذت (زوشا) بجوارها بالصمت، واكتفت بمتابعته في حذر قلق، حتى توقف بغتة، وألقى سيجارته بعيدًا في حدة، وهو يقول:

- أين الخرائط؟!

نطقها بشراسة شديدة، جعلتها تسرع بالتقاط مجموعة الخرائط، وتقدمها إليه، فالتقط واحدة منها - وهو يقول في مقت:

- (مصر) فقط.

تطلعت (زوشا)، عندما فرد الخريطة أمامه، وانعقد حاجباه في شدة، وهو يحرك سبابته عليها في سرعة وانفعال، ثم استجمعت شجاعتها، وسألته في حذر، وبصوت خافت، وكأنها تخشى أن يسمعها:

- ماذا يدور في ذهنك بالضبط؟!

قال في شراسة:

- أجري اتصالك بـ(شينكو)، عبر هاتفه الخاص،

وأخبريه أن الهدف قد تغير، وعليه أن ينتقل فورًا إلى الهدف الجديد

خفقت في قلق شديد:

- الانتقال بالمخطوطة الآن يا (بوريس)، خطر فمؤكد أن أجهزة الأمن، في كل الدول قد

قاطعها في وحشية ثائرًا:

- هل سمعت ما قلت؟!

تراجعت في خوف، وغمغمت في توتر

- بالتأكيد

ثم التقطت هاتفها، المتصل بالأقمار الصناعية مباشرة، وهي تسأله

- وما الهدف الجديد؟!

تألقت عيناه، على نحو جعله أشبه بوحش مفترس، وهو يجيب:

- (القاهرة)

فارتفع حاجباه بدهشة بالغة، وهتفت مستنكرة

- العاصمة نفسها ؟!

استدار إليها، صائحًا

- هل من اعتراض ؟!

زفرت، قائلة :

- كلا أيها الزعيم ... إنها خطتك، وهذا شأنك

بدأت تضرب أزرار الهاتف بأصابعها في عصبية، وهي تتابع :

- وماذا لو استوقفه رجال الأمن هناك ؟

أجابها في شراسة :

- هو يعلم ماذا سيفعل عندئذ

راحت تواصل ضرب أزرار الهاتف، في نفس اللحظة التي ارتفع فيها رنين هاتفه هو، فالتقطه في سرعة، قائلا في عصبية :

- من هناك ؟!

فوجئت بحاجبيه يرتفعان حتى قمة رأسه، ثم يهويان منعقدين، وهو يصرخ :

- ماذا ؟! بمقاتلة حربية ؟! وأين كنتم أنتم يا جنرالات القرود ؟ أين كل سلاحكم وحرسكم ؟! أنتم أغبى قوم رأيتهم في حياتي يا (كوليسكي) ... أنتم تستحقون بالفعل لتنقلكم المهين، من قائمة القوى العظمى، إلى خانة المحورين.

أنهى الاتصال في حدة، واحتقن وجهه بشدة، فسألته (روشا) بقلق عارم

- ماذا حدث ؟!

حدق في وجهها لحظة، وكأنما غالب عقله مع مسامعه، قبل أن ينفجر قائلا فجأة، في عصبية بالغة

- (أدهم صبري) سرق مقاتلة حربية، وينطلق بها نحو (تيسبورا) ..

انتقل ذهوله إليها، وهي تهتف

- مستحيل ! وكيف فعل هذا ؟!

لم يبد حتى أنه قد سمع تعليقها ، وهو يشعل سيجارته بمنتهى العصبية ، قائلا في حدة

ـ كيف يمكن أن أعمل ، في وجود هؤلاء الحمقى ؟! إهمالهم وفسادهم يمنحه في كل دقيقة فرصة إضافية للتفوق .

كانت تخبره أنهم المسئولون عن تفشي الفساد والإهمال ، إلا أن عقلها أرشدها ، في اللحظة المناسبة ، إلى أن الظروف لا تحتمل التعليق بحرف واحد ، فغمغمت :

ـ قلت إن رجلنا في انتظاره هناك

لوّح بذراعه ، ونفث دخان سيجارته في عصبية ، هاتفا :

ـ لقد اختصر الوقت بشدة ، وهذا يفسد كل شيء

ازدردت لعابها ، في محاولة لتهدئة أعصابها المتوترة ، قبل أن تقول ، محاولة تخفيف عصبيته

ـ ستنطلق مقاتلة حربية ليس بالأمر السهل أو الهين ، في أي زمان ومكان ، ومن المؤكد أن المقاتلات الحربية ستنطلق خلفه بلا هوادة .

هز رأسه في قوة ، قائلا

ـ لن يوقفه هذا .

هتفت في حدة :

ـ إنه ليس أسطورة .

اشتعلت عيناه بلهيب مخيف ، وهو يرمقها بنظرة غضب شرسة ، قبل أن يقول في حدة .

ـ هل نفذت ما أمرتك به ؟!

حاولت دورها لتحتفظ بوجهها ، وهي تقول .

ـ سأبلغ الأمر لـ (شلينكو) فورا .

وبينما تنقل أوامره لعميلهم في (مصر) ضغط هو أزرار هاتفه في توتر ، قائلا

ـ لابد أن يجد ذلك المصري في انتظاره مفاجأة ومهما فعل .

وضع الهاتف على أذنه ، ولم يكد يسمع صوت محدثه ، حتى قال بكل صرامة وشراسة العالم

- أنا الزعيم... لا يهم لمن أتحدث الآن... ابحثوا
عن ذلك الوغد (زيزي) فيما بعد. أما الآن.. فلتستمع
إليّ جيدًا، واعمل على تنفيذ أوامري فورًا

انتهت (روشا) اتصالها، وتطلعت إليه في شك متسائل،
وهو يتابع، بنفس الصرامة والشراسة والحزم

- هؤلاء المصريون، الذين تستجوبهم في الصومعة

وصمت لحظة، اشتعلت خلالها عيناه بنيران الجحيم،
وهو يضيف:

- اقتلوهم جميعًا.. فورًا.

وسقط الهاتف من يد (روشا)

فقد كانت مفاجأة حقيقية

ومذهلة.

* * *

لم يفهم ذلك الطيار الروسي أبدًا، كيف أدرك (أدهم)
أن صاروخه ينطلق نحوه!

ففي نفس اللحظة، التي انطلق فيها الصاروخ، انخفض
(أدهم) بطائرته فجأة، وتركها تهوي دون سيطرة،
فتجاوزه الصاروخ، وواصل طريقه مبتعدًا، في حين
استعاد (أدهم) سيطرته على الطائرة مرة أخرى،
وارتفع بها بغتة، بزاوية شبه رأسية، جعلت الروسي
يغمغم في عصبية:

- رباه! كيف فعل هذا؟!

التف، وارتفع بطائرته بدوره، خلف طائرة (أدهم)،
ولكن هذا الأخير انحنى فجأة على نحو شديد الصعوبة،
بحيث صنعت طائرته قوسًا مقلوبًا حلزونيًا، جعلها تعود
إلى الخلف بسرعة مدهشة، حتى إن الطيار الروسي
لم يستطع تحديد مساره في الوقت المناسب، فعبرت
طائرة (أدهم) فوقه، وهي تنطلق في وضع مقلوب رأسًا
على عقب، بحيث كان بإمكان الروسي رؤية خصمه،
وهو يحييه بهزة طائرته قبل أن يتجاوزه، ثم ينخفض
بطائرته مرة أخرى في سرعة مدهشة، تحتاج إلى
مهارة عالية، و..

وقبل أن يستوعب الروسي الأمر ، كان (أدهم) خلفه تمامًا بطائرته ..

وفي عالم المناورات القتالية الجوية ، يكون للطائرة الخلفية أكثر من سبعين في المائة من السيطرة على الموقف ..

ولأن الطيار الروسي يدرك هذا ، فقد سخر كل براعته وخبرته وقدراته ليفلت من هذا الموقف الدقيق ..

ولكن هيهات ..

صحيح أنه واحد من أفضل قادة هذا الطراز من الطائرات ، في (روسيا) كلها ، ولكن خصمه لم يكن رجلاً عاديًا ..

إنه رجل من طراز خاص جدًا

رجل المستحيل ..

وفي كل لحظة ، كان الروسي يتوقع أن ينطلق من طائرة خصمه صاروخا ، ينسف طائرته هو نسفا

ولكن العجيب أن هذا لم يحدث .

لقد واصل (أدهم) مطاردته ، والسيطرة على الموقف لدقيقة كاملة ، قبل أن يضغط زناد مدفع طائرته ، مغمغمًا :

- معذرة يا رجل ، ولكن ليس لدي ما يكفي من الوقت لمناورة قتالية طويلة .

ومع قوله ، انطلقت رصاصات مدفع طائرته ..

وأصابت الجناح الأيمن لطائرة الروسي ..

وارتفع عمود من الدخان من طائرة الروسي ، الذي اضطر للانخفاض بها ، تاركًا طائرة (أدهم) خلفه ، وهي تستعيد سرعتها واتجاهها ، نحو (ليننجراد) ، التي أصبحت قريبة للغاية ..

وعبر جهاز الاتصال اللاسلكي ، هتف الروسي :

- الرجل يواصل طريقه نحو (ليننجراد) . لقد أجبرني على الخروج من السباق

وانعقد حاجباه في توتر بالغ ، وهو يضيف ، وطائرته تواصل انخفاضها :

- لست أفهم ما فعله .. لست أفهم أبدا .. لقد كان يسيطر على الموقف تماما ، وكان بإمكانه نسف طائرتي بضغطة زر واحدة .. ولكنه ، وبدلا من هذا ، اكتفى بإصابة دقيقة مدهشة ، تجبرني على الانسحاب من المعركة فحسب .

وهز رأسه في قوة مكررا :

- لن يمكنني أن أفهم هذا أبدا

في نفس اللحظة التي نطق فيها عبارته ، كانت طائرة (أدهم) تخترق حاجز الصوت * ، لتواصل انطلاقها نحو (ليننجراد) ..

كان يقاتل ، ليبلغ صواريخ (جيوروف) ، في الوقت المناسب ، قبل أن يتعرض رفاقه للخطر ..

(*) المقصود بالعبارة تجاوز سرعة الصوت التي تساوي [illegible] ، وفي عالم الطيران تعتبر سرعة الصوت وحدة ، يطلق عليها (ماخ) ومن الظواهر التي تصاحب اختراق حاجز الصوت ، حدوث فرقعة عالية مسموعة

(جيوروف) سيدرك مغزى ما حدث حتما

وسيحسبه هذا ..

إلى أقصى حد .

وهذا يضع الموقف كله أمام احتمالين .. لا ثالث لهما .

إما أن يحاول نقل رفاقه بأقصى سرعة ، إلى مكان آخر ..

أو يسعى للتخلص منه ..

وهو لن يحتمل هذه النتيجة الأخيرة

أبدا ..

لذا ، فعليه أن يسرع ..

ويسرع ..

ويسرع ..

كان يقترب أكثر وأكثر من (ليننجراد) ، بحيث لم

يعد يفصله عنها سوى دقائق معدودة ، عندما رصدته وسائل الدفاع الجوى الروسية ، التى تم إبلاغها بأمره ، فهتف ضابط الرادار فى حزم :

- لقد ظهر .

التقى حاجبا رئيسه ، وعقد كفيه خلف ظهره ، وهو يلتقط جهاز الاتصال اللاسلكى ، قائلا :

- الهدف ظهر على شاشة الرادار .. نحن فى انتظار الأوامر .. هل نمنح مقاتلاتك الحديثة فرصة مطاردته ، والسيطرة عليه ، وإجباره على الهبوط ، أم ...

فوجئ بمحدثه يقاطعه فى عصبية ، قائلا :

- خطأ يا رجل .. خطأ .. هذا الجنرال (كوليسكى) من المخابرات الروسية .. خصمنا رجل شديد المهارة والعند ، وأية قوة فى الأرض لن تجبره على الاستسلام .. استخدم صواريخ الدفاع الجوى فورا يا رجل .. هيا .

التقى حاجبا قائد وحدة الدفاع الجوى فى (لينينجراد) ، وهو يقول فى توتر :

- ولكن هذا يجعلنا نخسر الطائرة حتما .. الأفضل أن ...

قاطعه (كوليسكى) بصيحة هادرة :

- الصواريخ يا رجل .

تردد لحظة قائد الوحدة ، وهو يتمتم :

- كما تأمر يا جنرال .

ثم التفت إلى الضابط ، وهو ينهى الاتصال ، قائلاً بلهجة آمرة :

- أطلق الصاروخ .

وضع الضابط طائرة (أدهم) فى إحداثيات الهدف إليكترونيا ، ثم ضغط زر الإطلاق .

وانطلق صاروخ الدفاع الجوى خلف طائرة (أدهم) ، وشق طريقه نحوها بسرعة بالغة ..

وهنا لم يكن لبراعة (أدهم) ومقدرته الذى تأثير ، إذ إن هذا النوع من الصواريخ يطارد الهدف إليكترونيا ، مهما حاور أو ناور ، أو زاد من سرعته

ولقد تابع الضابط وقائده حركة الصاروخ ، وهو يقترب من الطائرة ..

ويقترب .

ويقترب

وقامت الطائرة بمناورة بارعة ، في محاولة لتفادي الصاروخ .

بل مناورة مدهشة .

وإلى أقصى حد

والتقى حاجبا الضابط في شدة ، وهو يتابع شاشة الرادار ، وراح رئيسه ينقر بأصابعه على الجدار في عصبية ، والصاروخ يطارد الطائرة في إصرار عنيف

كانت أول مرة يريان فيها مناورة مذهلة إلى هذا الحد ، بين طائرة قديمة ، وصاروخ إلكتروني حديث ، يتم توجيهه بالليزر .

ولكن المناورة والمطاردة انتهتا بغتة

ودفعة واحدة ..

فقد لحق الصاروخ بالطائرة ، عند منحنى مزدوج بينهما ، وارتطم بها ، و ...

ودوى الانفجار الهائل ..

في سماء (لينجراد) .

* * *

٥ ـ الضربة ..

أشار رجل المخابرات المصري إلى خريطة كبيرة ، تكسو جدارًا كاملا ، من جدران حجرة الاجتماعات الصغيرة ، في مبنى الأمن القومي ، وهو يقول في حزم :

ـ هدفنا يدعى (شليكو) .. (سالين شليكو) جاسوس سابق عمل لحساب المخابرات السوفيتية ، في الفترة من ١٩٧٦م وحتى أوائل ١٩٩٠م ، وأنهى السوفيت خدمته ، بسبب تورطه مع عصابات تهريب المخدرات ، وبعد سقوط الاتحاد السوفيتي ، بدأ يعمل مع عصابة لترويج المخدرات ، على نحو صريح ، ثم انضم ، منذ عام ١٩٩٤م إلى (المافيا) الروسية ، وانقطعت أخباره منذ عامين ، وبعد أن بلغ منزلة كبيرة فيها

ثم استدار إلى الفريق المحدود ، الذي يستمع إليه ، والذي يتكوّن من ثلاثة من قيادات الشرطة ، واثنين من رجال المخابرات ؛ ليتابع :

ـ هذا الرجل عبر حدودنا مرةً ، بوسيلة ما ، وكمن هنا ، حتى وصلت شحنة أسطوانات غاز الأعصاب ، التي استأجر (جريكو) لتهريبها ، ثم قتل هذا الأخير ، واستولى على الشحنة ، واختفى بها في مكان ما هنا .

أجابه أحد قيادات الشرطة في حسم :

ـ لقد وزعنا صورته ، التي رسمتموها ، بناء على ما أدلى به (ثروت) من أوصاف ، على كل رجالنا ، بطول وعرض (مصر) ، والكل يبحث عنه في كل مكان .

هزّ رجل المخابرات رأسه ، قائلا :

ـ لسنا نعتقد أنه سيحتفظ بهيئته ، التي وزعنا أوصافها ، فالرجل خبير في التنكر ، بسبب عمله طويلاً في مجال الجاسوسية ، وهو أيضا شديد الحذر ، وما دام يعلم أنه هنا من رآه مع (جريكو) ، ومن يمكنه نقل أوصافه للآخرين ، فسينتحل هيئة أخرى حتما ، وربما يحمل هوية زائفة أيضا ، لذا فالأمر أصعب مما نتصوّر

عن شخص بسيط ، أو عن سطح صغير لكوخ صيادين ، يقيم في أحد الفنادق أو الشقق التي يتم تأجيرها للأجانب ، وإنما نبحث عن رجل يختفي مع شحنة من اسطوانات غاز بالغة الخطورة ، عليه أن يحرص عليها أشد الحرص ، وأن يسعى لتفجيرها عندما يتلقى الأمر بهذا ، و

« الأمر !! » ..

هتف رجل المخابرات الرئيسي بالكلمة ، في لهفة وصيحة ، فاستدارت إليه كل العيون في دهشة متوترة متسائلة وهو يتابع في حماسة :

- ربما كانت هذه هي الوسيلة المثلى للتوصل إليه

تساءل أحد قيادات الشرطة في حذر :

- ماذا تعني بالضبط ؟

أجابه بنفس الحماسة

- خصمنا ليس فردًا وحيدًا وهو تابع ، لا بد أن يتلقى الأوامر من رؤسائه ، لتحديد خطواته وتحركاته ، ومن المؤكد أنه يستخدم واحدًا من الهواتف المحمولة ، التي ترتبط بالأقمار الصناعية مباشرة

قال آخر من قيادات الشرطة في توتر

- ولكننا لا نستطيع مراقبة وسائل اتصال كل الأجانب في (مصر) .

أشار رجل المخابرات بسبابته قائلاً

- عليه أن يجد وسيلة اتصال إذن

تساءل قائد الشرطة الثالث :

- مثل ماذا ؟!

أجابه أحد رجلي المخابرات الآخرين

- ربما لو ربطنا بين الرجل واسطوانات الغاز ، لأمكننا اختصار الوقت الكثير

تساءل أحدهم

- ألم نفعل هذا منذ البداية ؟!

اعتدل الرجل ، وقال

- ليس هذا ما أقصده ، وإنما كنت أعني أننا لا نبحث

ثم اعتدل ، وتألقت عيناه ، وهو يصيح في حزم :

- وهنا يأتي دور قسم الاعتراض (*) .

تبادل رجال الشرطة نظرة قلقة ، حولها أحدهم إلى تساؤل (مسموع) ، وهو يقول في توتر :

- وهل يمكن لأجهزة الاعتراض لديكم ، التقاط وتحديد اتصال رقمي ، يتم عبر الأقمار الصناعية ؟!

أجابه رجل المخابرات في حزم :

- الوسائل التي أضيفت إليه حديثًا ، تمنحه قدرة معقولة ، في هذا الشأن ، وربما أمكنها حصر البحث في نطاق محدود للغاية .

وصمت لحظة ، قبل أن يستدرك :

- لو أرسل الهدف أو استقبله ، لأي اتصال ، عبر الأقمار الصناعية .

(*) قسم الاعتراض : هو قسم خاص ، في جهاز المخابرات العامة ، مهمته - وفقًا لاسمه - هي اعتراض كل الإشارات غير المشروعة ، التي تصدر أو تأتي من وإلى (مصر) ، ولقد أضيفت إليه مؤخرًا وسائل أكثر تطورًا ، تجعله قادرًا على اعتراض الرسائل الرقمية أيضًا .

تبادل الجميع نظرة أخرى ، قبل أن يتساءل أحد رجلي المخابرات ، في قلق شديد :

- وماذا لو أن هذا الاتصال كان إشارة التفجير بالفعل ؟!

انعقد حاجبا رجل المخابرات الرئيسي ، دون أن ينبس ببنت شفة ، أو يجيب ذلك التساؤل بحرف واحد .

فالاحتمال كان مخيفًا .

مخيفًا للغاية .

* * *

التقى حاجبا (يوري بلاتونوفتش) بشدة ، وهو يستمع إلى الجنرال (كوليسكي) ، عبر هاتفه المحمول ، قبل أن يقول في صرامة ، حاول أن يخفي بها ذلك الانفعال الجارف في أعماقه :

- أأنت واثق مما تقول هذه المرة يا (كوليسكي) ؟!

توقفت (زوشا) عن مراوغة رفيقتها الشيقة ، واعتدلت جالسة ، والعرق يغمر جسدها وعضلاتها المفتولة ، واستمعت في اهتمام قلق ، في حين كان (كوليسكي) يجيب في حماسة مرهقة ، على الطرف الآخر :

- تعطو تحية هذه المرة ب (يوري) ... لقد أطلقنا
عليه أحد صواريخ الشرع الجوي الحديثة، الموجهة
بالليزر، وحدث تلك [illegible]. ولكن الصاروخ
أصاب طائرته، ونسفها في الجو نسفا

سأله (يوري) في صرامة [illegible].

- أأنت واثق ؟!

أجابه (كوزنسكي) في انفعال

- لقد تأكدت بنفسي قبل اتصالي بك يا (يوري)
ازداد انعقاد حاجبي (يوري)، وكأنه لا يصدق ما سمعه،
ومرت عليه لحظات من الصمت، جعلت (كوليسكي)
[illegible] في توتر

- (نادري) ... مرت لحظات ؟؟

أجابه (نادري) في صرامة :

- نعم أنا هنا يا (كوليسكي)، وأتساءل عن وسيلة
تأكدك من خبر كهذا !



قال (كوليسكي) في سرعة:

- رجال الدفاع الجوي شاهدوا ما حدث في وضوح، على شاشات الرادار، ومناورته للفرار من الصاروخ تعني أنه ظل داخل الطائرة، حتى اللحظة الأخيرة .. و

قاطعه (بوري) في صرامة شرسة:

- وماذا عن التأكيد البصري ؟!

صمت (كوليسكي) لحظة، وكأنما لم يتوقع السؤال، ثم لم يلبث أن اندفع، قائلاً في انفعال:

- مع موقف كهذا، نحن لسنا في احتياج إلى تأكيد بصري يا (بوري)، ولا حتى لـ

قاطعه (بوري) في ثورة:

- خطأ يا (كوليسكي) .. خطأ أيها الغبي الأحمق .. مع رجل مثل (أدهم صبري)، أنت بحاجة إلى كل تأكيد ممكن في الوجود، للتيقن من أنه قد لقي مصرعه .. هذا ما ينبغي أن تتعلمه من ملفه، ومن تاريخ حياته الحافل

قال (كوليسكي) في عصبية، وقد أحنقه الأسلوب الذي يتحدث به (بوري) إليه:

- نحن واثقون من مصرعه يا (بوري)

صاح (بوري):

- لستُ أنا قائد جنرال القرود .. احصل على تأكيد بصري، أو اذهب بمعلوماتك إلى الجحيم

قالها، وأنهى الاتصال في عنف، فسألته (روشا) في قلق حذر، وهي تنهض وتلتقط منشفتها:

- ماذا؟ لا تصدق مصرعه ؟!

أجابه في خشونة، وهو يشعل سيجارته في عصبية:

- ملفه يتحدث عن عملاء سقطوا، لمجرد أنهم افترضوا مصرعه، دون أن يؤيدوا هذا بدليل بصري

ثم نفث دخان سيجارته في قوة، وهو يلتفت إليها، مستطردًا بخشونة أكثر:

- ولن أصل إلى هذه النهاية أبدًا.

جففت عرقها، وهي تقول:

- كل البشر يموتون

قال في حدة .

ـ ليس بمجرد الافتراض .

تطلعت إليه بضع لحظات ، وهو ينفث دخان سيجارته في عصبية شديدة ، قبل أن تستجمع شجاعتها ، وتقول :

ـ هذا المصري له تأثير واضح عليك يا (بوريس)

استدار إليها بوجه غاضب محتقن ، وعيناه تشتعلان كاللهب ، وهو يهتف :

ـ أي قول سخيف هذا ؟!

واصلت شجاعتها ، وهي تجيبه :

ـ إنني لم أشهدك عصبيا إلى هذا الحد ، إلا عندما يتعلق الأمر به .

ثم مالت إلى الأمام ، متابعة في خفوت :

ـ على الرغم من أنني قد تعلمت منك قاعدة تقول : إن من يفقد أعصابه أولا ، يخسر معركته أخيرا .

حدق في وجهها بضع لحظات ، وكأنه يراها لأول مرة ، قبل أن يشيح بوجهه عنها وينفث دخان سيجارته في عمق وبطء بضع لحظات ، ثم يقول :

ـ ربما كنت على حق .. إنني أشغل عقلي به أكثر مما ينبغي .. على الرغم من أن لدي مهمة أكثر خطورة

وتألقت عيناه ، وهو يضيف :

ـ مهمة تتعلق بالسيطرة على العالم أجمع

غرق مرة أخرى في صمت وتفكير عميقين ، التهم خلالهما سيجارتين كاملتين ، قبل أن يعتدل ، ويقول في صرامة وحشية

ـ لقد حان الوقت ، لنقدم للعالم دليلا جديدا على حزم وجدية السوفيات

سألته في قلق وحذر

ـ أتعني مطالبك ؟

تألقت عيناه أكثر ، وهو يجيب في نشاط وحيوية مباغتين :

- فيما بعد يا عزيزتي (روشا) .. فيما بعد .

وارتسمت على شفتيه ابتسامة مخيفة ، وهو يضيف :

- بعد هذه الضربة مباشرة

قالها ، وتحولت ابتسامته بغتة إلى ضحكة .

ضحكة عالية مجلجلة ، جعلته يبدو أشبه بوحش دموي ..

وحش آدمي ..

مفترس ..

* * *

امتقع وجه (شريف) ، حتى بدا أشبه بالموتى ، ولوهلة مدفع رجل (المافيا) الروسي يرتفع في وجهه ، وسبابته تضغط الزناد ، و ...

ولكن فجأة ، وقبل ثانية واحدة ، من ضغطه الزناد ، وثبت (منى) عبر تلك الفتحة ، التي تقود إلى صومعة الغلال ، وانقضت على الرجل كالصاعقة .

وفي توتر لا محدود ، أدار الرجل فوهة مدفعه الآلي نحوها ، وهو يصرخ :

- لعنها الله ..

قبل أن يتم صرخته ، وثبت (منى) في رشاقة ، وركلت كفه ركلة قوية ، دفعته إلى الخلف في عنف ، وسبابته تضغط زناد مدفعه بحركة آلية ، لتنطلق رصاصاته ، وتدوي في المكان في عنف ..

وحاول المجرم أن يعتدل ، وأن يستعيد توازنه ، وسيطرته على الموقف ، إلا أن (منى) لكمته في أنفه الذي حطمته ركلتها بالفعل ، فتصاعدت إلى رأسه آلام رهيبة ، وغامت الدنيا أمام عينيه ، فدارت (منى) حول نفسها ، وركلته ركلة أخرى في فكه ، ارتطم إثرها بالجدار في عنف ، ثم سقط على وجهه كالحجر ، في نفس اللحظة التي وثبت فيها (ريهام) خارج الفتحة ، هاتفة :

- هل سيطرت على الموقف ؟!

أجابتها (منى) في توتر ، وهي تلتقط المدفع الآلي في سرعة :

ـ مؤكدًا .. فرصاصاته ستجتذب رفاقه حتمًا ، ومن المؤكد أن بعضهم قد أدرك ما حدث ، عبر شاشات المراقبة .

هتفت (ريهام) :

ـ يا إلهي ! هذا يعني أننا سنحتاج إلى كل قوتنا ، لمواجهة هذا الموقف ،

انحنى (شريف) يلتقط المدفعين الآليين ، الملقين عند ركن القاعة ، وحل عقدة الحبل المحيط بهما ، وهو يقول في حزم :

ـ ولكنني شخص أيضًا .

التفتت إليه ، وهو يلقي إليها أحد المدفعين الآليين ، ويمسك الثاني في قوة ، وقالت في عصبية

ـ أنت خبير كمبيوتر ، ولست مقاتلا .

هز كتفيه ، قائلا في حزم أكثر :

ـ الضرورات تبيح المحظورات

فالتفتت إليهما (منى) قائلة :

ـ حوار عقيم ، ولكن دعاني أتساءل .. هل سنظل هنا ، في انتظار رد فعل خصومنا ؟!

استدارا إليها ، وسألتها (ريهام)

ـ ماذا تقترحين ؟!

أجابتها (منى) في حزم

ـ أن نتبع سياسة (أدهم) ، في هذا الموقف أيضًا .

هتف (شريف) :

ـ الهجوم خير وسيلة للدفاع .. أليس كذلك ؟!

أشارت (منى) بمدفعها الآلي ، قائلة

ـ بالضبط .

ثم أضافت في حزم :

ـ لابد أن نتحرك في سرعة ، لنربح عامل المفاجأة ، ونربح المبادرة ، ولنحطم كل تقنية يمكن أن نربحها ، حتى يمكننا أن نوفر لـ (قدرى) كل ما

قاطعتها (ريهام) في صوت يحمل قدرًا من التوتر والانفعال، وهي تتطلع عبر فرجة الباب:

- لا داعي لكل هذا، لقد بدءوا الهجوم بالفعل

استدار (شريف) و(منى) في سرعة إلى حيث تنظر، وسرت فيهما معًا موجة عنيفة من التوتر ..

فهناك، ومن نهاية الممر، الذي يقود إلى حيث يقفون، كان فريق من رجال (المافيا) الروسية ينقض، بكل وحشيته وشراسته

وأسلحته المتطورة ..

وبدا من الواضح أن المعركة قد بدأت.

وأنهم مضطرون للقتال فورًا

وحتى الموت ..

* * *

« (أدهم) لقى مصرعه ؟! »

هتف (أسعد) بحرارة في ارتياع، وهو يحدق في وجه (سيرجي)، الذي بدا صارمًا باردًا كعادته، وهو ينطلق بسيارته، نحو القيادة العليا للدفاع الجوي الروسي، فقال هذا الأخير في حزم:

- الخبر لم يتأكد بعد.

هتف (أسعد) في مرارة:

- لم يتأكد ؟! وكيف يا رجل ؟! ألم تقل بنفسك إن كل الرادارات رصدت انفجار طائرته في الجو ؟!

انعقد حاجبا (سيرجي) الكثان، وهو يقول:

- ماذا دهاك يا رجل ؟! المفترض أن تكون معرفتك بـ (أدهم) أكبر وأقوى من معرفتي به، وأن تكون ثقتك بقدراته أضعاف ثقتنا بها.

قال (أسعد) في عصبية:

- وما شأن القدرات الشخصية هنا ؟!

ازداد انعقاد حاجبي (سيرجي)، وهو يقول في صرامة:

- إننا نتحدث عن (أدهم صبري) يا رجل.

كرر (أسعد) ، في عصبية أكثر :

- وما شأن قدرته بما حدث ؟!

صمت (سيرجي) لحظة كاملة هذه المرة ، قبل أن يقول في حزم :

- سيجد وسيلة ما .

داعبت عبارته شيئاً ما ، في أعماق (أسعد) ، فتمتم في حنق متوتر :

- هل تعتقد هذا ؟!

مط (سيرجي) شفتيه ، وهو يقول :

- ما اعتدناه هو أن (أدهم) عبقري في عمله ، ولديه قدرة مدهشة على رصد ما حوله ، وإدراكه ، وإيجاد وسيلة للنجاة منه . لا يمكن أن تخطر على بال سواه ، ثم إن لديه القدرة على السيطرة على أعصابه ، في أحلك وأصعب الظروف والمواقف ، وهذا يمنحه ميزة ، لا تتوفر لسواه .

حدق فيه (أسعد) بدهشة بالغة ، قبل أن يغمغم :

- يا إلهي ! يثير (أدهم) إعجابك إلى هذا الحد ؟!

مط (سيرجي) شفتيه ، وانعقد حاجباه في شدة ، وهو يلوذ بالصمت بضع لحظات ، حتى توقفت سيارته أمام مبنى قيادة الدرع الجوي ، فقال في حزم صارم :

- من الناحية الرسمية ، يعتبر (أدهم) خصماً لكل جهاز مخابرات في العالم ، وكل منظمة للجاسوسية أو الإجرام ، ولكن من الناحية الفعلية . يشعر جميعنا بأنه مستقل في مجاله ، عبقري ، فلتة من فلتات الزمن ، لا يمكن أن تحظى الأجيال بمثلها إلا فيما ندر .

غمغم (أسعد) في انبهار :

- تتحدث كما لو أنكما صديقان حميمان ، على الرغم من أنك قد سعيت لتدميره يوماً(*)

صمت (سيرجي) لحظة أخرى ، ثم قال في حزم :

- إننا خصمان شريفان على الأقل

(*) راجع قصة (سم الكوبرا) المغامرة رقم ٥٦)

ثم غادر سيارته ، مستطردًا في صرامة :

ـ والآن هيا .. دعنا نعرف ما حدث .

لم تمض دقائق خمس ، على قوله هذا ، حتى كان قائد الدفاع الجوي المركزي يستقبلهما في مكتبه ، ويلقي نظرة حذرة على (أسعد) ، قبل أن يقول في احترام وحسم :

ـ مرحبًا يا كولونيل (كوربوف) .. أوامر سيادة الرئيس تم تنفيذها بمنتهى الدقة .. كل المعلومات الخاصة بمقاتلة (الميج) المختطفة تم حجبها عن كل الجهات والأفراد .. الجنرال (جوزيف كوفيسكي) حضر بنفسه ، للحصول على المعلومات الخاصة بالرصد المصري المباشر ، ولكننا أقنعناه بعدم وجود مثله ، طبقًا لأوامر وتعليمات الرئيس .

غمغم (سيرجي) :

ـ عظيم .. ولكن لديكم شرائط رصد مصرية .. أليس كذلك ؟!

تردد الرجل لحظة ، قبل أن يقول :

ـ بلى .. ولكن ..

سأله (سيرجي) في غلظة :

ـ ولكن ماذا ؟!

تردد الرجل مرة أخرى ، ثم قال :

ـ الواقع أن التأكيدات المصرية الوحيدة لدينا ، تم التقاطها بوسيلة بسيطة ، ومن مسافة كبيرة للغاية ، حتى إنه من العسير التأكد مما بها .

اندفع (أسعد) يقول :

ـ فليكن .. دعنا نراها ، وسنحكم بأنفسنا .

أدار القائد عينيه إليه في شك حذر ، فقال (سيرجي) في خشونة :

ـ لقد سمعت الرجل .

تردد الرجل لحظة ثالثة ، ثم لم يلبث أن شد قامته ، وأشار بيده ، قائلاً :

ـ تفضلا .

جمعتهم قاعة عرض خاصة ، لم تضم سواهم ، وضغط القائد زرًا فى مقعده ، وهو يقول

– يمكنكما القول بأننا قد سجلنا لحظة الطائرة الأخيرة

بدأ العرض على شاشة متوسطة الحجم ، وانعقد حاجبا (أسعد) فى توتر بالغ ، وهو يتابع طائرة (أدهم) ، التى يطاردها الصاروخ فى إصرار ، وهى تناور مرة ، وثانية ، و ...

ويحدث الانفجار .

وعض (أسعد) شفتيه فى مرارة ، عندما شاهد الصاروخ يرتطم بالطائرة ، التى انفجرت فى عنف ، وتناثرت شظاياها على مساحة واسعة ، و ...

« أوقف العرض .. »

هتف (سيرجى) بالعبرية فى صرامة ، وهو يهب من مقعده بحركة حادة ، فضغط القائد زر الإيقاف بحركة آلية سريعة ، ليتوقف المشهد تمامًا ، ويقترب من

(سيرجى) فى اهتمام جارف ، جعل (أسعد) يهب من مقعده بدوره ، متسائلاً فى توتر

– ماذا هناك ؟!

أشار إليه (سيرجى) بالصمت ، قبل أن يقول للقائد فى صرامة

– عد بنا بضع ثوانٍ إلى الخلف .

ضغط القائد زرًا آخر ، فتراجع المشهد إلى الخلف لثانيتين أو ثلاث ، قبل أن يشير (سيرجى) بيده قائلاً :

– كفى

توقف المشهد مرة أخرى ، ومال (سيرجى) نحوه أكثر وأكثر ، و(أسعد) يكرر فى عصبية

– ماذا هناك ؟!

أشار (سيرجى) بسبابته إلى بقعة صغيرة ، قائلاً

– انظر .

مال (أسعد) برأسه أكثر، وحدّق في البقعة، التي تحجب إحدى الأشجار العالية الرؤيـة عن معظمها، والتي بدت له كجزء من شظايا الطائرة المتفجرة، وتساءل في توتر:

- وما هذا بالضبط؟!

أشار (سيرجي) إلى القائد، قائلاً:

- إلى الأمام ببطء شديد.

ومع ضغطة زر آخر، بدأ المشهد يتحرك إلى الأمام في بطء، لتتحرك معه تلك البقعة الصغيرة، وتهبط نحو الأرض و...

واتسعت عينا (أسعد) عن آخرهما، وخفق قلبـه في عنف..

فما رآه أمامه كان يقلب الأمور كلها رأسا على عقب.

يقلبها تمامًا

* * *

٦- أمر بالقتل..

تطلّع مدير المخابرات العامة المصرية إلى الخريطة الكبيرة لـ (مصر)، في حجرة مكتبه، وهو يهز رأسه، قائلاً:

- الأمر خطير للغاية.. فالخبراء يؤكدون أن سارقي المعززات القاتلة سيوجهون ضربة ثالثة، لتأكيد قوتهم ووحشيتهم، قبل أن يعلنوا مطالبهم

مطّ نائبه شفتيه، وهو يقول:

- ولكن لماذا؟! ما فعلوه حتى الآن حصد آلاف الضحايا الأبرياء، ومعظمهم من النساء والأطفال والشيوخ، فلماذا لا يعلنون مطالبهم، حتى تتوقف المذبحة، ونعلم جميعًا ماذا يريدون؟!

تنهّد المدير، قائلاً:

- لأنهم يعلمون أن ما سيطلبونه ليس سهلاً أو يمكن

تلبيته . لذا فهم يبالغون في وحشيتهم ، حتى تتحطم الروح المعنوية للحكومات ، في كافة أنحاء العالم ، قبل إعلان مطالبهم ، التي ستبدو عندئذ قابلة للتنفيذ .

غمغم النائب في مقت :

ـ يا للوحشية !

قال المدير في صرامة :

ـ من الواضح أنهم يتمتعون بالكثير منها .

لم يكد يتم عبارته ، حتى سمع طرقات على باب مكتبه ، فرفع عينيه إليه ، قائلاً :

ـ ادخل .

مع آخر حروف الكلمة ، دلف مدير مكتبه إلى الحجرة ، بوجه شاحب ممتقع ، وهو يقول في توتر شديد .

ـ الضربة الثالثة وقعت .

امتقع وجه المدير ونائبه ، وهتف الأول في ارتياع مذعور :

ـ أين ؟!

اتجه إليه الرجل بتقرير عاجل ، مع خريطة متوسطة للعالم ، حملت ثلاث علامات واضحة ، في (روسيا) ، و(إفريقيا) ، و(أمريكا) ، وهو يقول :

ـ هنا .

مسح المدير ونائبه الخريطة بعيونهما في سرعة ، قبل أن يتساءل الأخير :

ـ وماذا عن الخسائر ؟!

ازدرد الرجل لعابه ، على نحو يوحي بأنه يجد صعوبة في هذا ، قبل أن يجيب بصوت شديد التوتر :

ـ ما يزيد على سبعة آلاف مواطن ، بالإضافة إلى مئات من الحيوانات والطيور .

عض المدير شفتيه في غضب مرير ، في حين هتف نائبه في غضب :

ـ يا للوحوش !

وفي توتر مماثل ، استدار المدير إلى مدير مكتبه ، متسائلاً :

ـ وماذا عنا ؟!

هزّ الرجل رأسه ، مجيبًا :

ـ لم تصلنا أية معلومات بعد

مع آخر حروف كلماته ، اندفع رئيس قسم الاعتراض إلى المكان ، بوجه شاحب ممتقع ، وهو يقول :

ـ معذرة يا سيادة المدير ، ولكن الأمر ..

قاطعه المدير ، وهو يشير إليه ، متسائلاً في قلق شديد :

ـ لا بأس يا رجل . ماذا لديك ؟!

اتجه الرجل إليه مباشرة ، وهو يحمل ورقة ، قائلاً :

ـ لقد اعترضنا اتصالا لاسلكيًا رقميًا ، تم عبر الأقمار الصناعية ، باللغة الروسية .

سأله المدير في قلق أكثر :

ـ وما محتوى ذلك الاتصال ؟!

التقط الرجل نفسًا عميقًا ، قبل أن يرتجف صوته في انفعال ، وهو يقول :

ـ إشارة لتنفيذ العملية .. فورًا .

واتسعت عيون المدير ومساعديه

إلى أقصى حد .

* * *

أكثر من دستة من القتلة المحترفين ، بمدافعهم الآلية القوية ، انقضوا على تلك الحجرة ، التي تحوي قمة صومعة الغلال ، والتي يتحصن داخلها (شريف) و(ريهام) و(منى) ، بثلاثة مدافع آلية فحسب .

وعلى الرغم من أن كل شيء كان يوحي بانعدام التكافؤ ، في معركة كهذه ، إلا أن (منى) هتفت في حزم :

ـ هيا ..

ومع أول حرف من هتافها ، أطلق (شريف) و(ريهام) رصاص مدفعيهما

وانطلقت النيران ..

من الجانبين ..

ثلاثة مدافع آلية ، في مواجهة ستة كاملة

فيض من الرصاصات بلا حدود

دوى يصم الآذان ، على نحو جعل الدكتور (أحمد) يهتف في ارتياع :

ـ رباه .. ماذا يحدث هناك ؟! ماذا يحدث ؟!

وعلى الجانبين ، تفجرت الدماء في غزارة

ثلاثة من قتلة (المافيا) الروسية سقطوا صرعى ، وأربعة آخرون أصابتهم الرصاصات في عنف .

(ريهام) اخترقت كتفها رصاصة ، و(شريف) شعر بآلام رهيبة في ساقه ، جعلته يسقط مرغما على ركبتيه ، في حين واصلت (منى) إطلاق رصاصاتها في استماتة ، على الرغم من إصابة ذراعها ، والرصاصات التي تتطاير حولها من كل صوب .

وفي مرارة ، هتفت (ريهام)

ـ يا للسخافة ! لقد نفدت خزانة مدفعي .

انعقد حاجبا (منى) ، وهي تهتف بـ (شريف) ، وسبابتها مازالت تعتصر زناد مدفعها الآلي

ـ أعطها مدفعك

ألقى (شريف) مدفعه إلى (ريهام) في يأس ، وهو يصرخ

ـ لا فائدة .. إنهم يفوقوننا عددا وعدة .. لا فائدة .

صرخت فيه (منى) :

ـ اصمت .. لا تقل هذا .. لا تقل هذا أبدا .

عضت (ريهام) شفتيها ، وهي تطلق آخر رصاصات مدفعها ، وشعرت برصاصة أخرى تخترق فخذها ، فانطلقت من صدرها آهة غضب ومرارة وألم ، ورأت الدماء تتفجر من عنق (منى) ، وجسد هذه الأخيرة يرتد إلى الخلف في عنف ، ويرتطم بالجدار ، فصرخت :

- لا .. ليس بهذه الوسيلة .

امتزجت صرختها بضحكة وحشية ، أطلقها قائد مجموعة القتلة ، وهو يهتف برجاله ، أو بمن تبقى منهم :

- انتصرنا يا رجال .. خطوة أخرى ، ونحصدهم جميعًا بلا رحمة أو هوادة .

شعرت (ريهام) باليأس والمرارة والإحباط ، وهي تلقي مدفعها ، بعد أن نفدت خزانته ، وتندفع محاولة التقاط مدفع (منى) ، التي سقطت على وجهها أرضًا ، وقد راودها شعور بأنه لم يعد هناك أمل في النجاة من هذه المصيدة الرهيبة

أي أمل ..

ولكن فجأة ، سمعت صوتًا مألوفًا غاضبًا ، يقول في صرامة شديدة ، وحزم بلا حدود :

- المهم أن تجد الوقت ، لتخطو تلك الخطوة أيها الوغد .

شهقت (ريهام) في فرحة غامرة ، واتسعت عينا (شريف) عن آخرهما ، في حين رفعت (منى) رأسها عن الأرض ، وغمغمت في لهفة متهالكة :

- (أدهم) .. يا إلهي ! (أدهم)

في نفس اللحظة ، التي نطقت فيها كلماتها ، كان قتلة (المافيا) الروسية الخمسة يستديرون ، في آن واحد ، لمواجهة (أدهم) ، وفوهات مدافعهم ترتفع نحوه ، و ...

وكان أعنف إعصار واجهوه ، في حياتهم كلها .

إعصار غاضب ثائر ، وصل في الوقت المناسب ، لينقذ أقرب وأحب الناس إليه ، في الكون كله ، قبل أن تحصدهم يد الشر بلا رحمة

فمع استدارة الرجال الخمسة ، شعر أحدهم بقبضة تفجرت في أنفه ، قبل أن ينتزع أدهم مدفعه الآلي في عنف ، ثم يهوي به على رأس الثاني ، في نفس اللحظة التي ارتفعت فيها قدمه ، لتركل الثالث في فكه

وانطلقت رصاصات الرجلين الآخرين نحو (أدهم)، ولكن هذا الأخير تحرك بسرعة مذهلة، قبل حتى أن تنطلق الرصاصات، ووثب إلى أعلى، وتعلق بخاتم في السقف، ليركل الرجلين في وجهيهما، ثم يفلت يديه، ويدور حول نفسه في الهواء، ليهبط على قدميه، وتتحرك قبضتاه في آن واحد، لتحسم المعركة، وإسقاط كل من يقف على قدميه من حوله

وفي ارتياع، حدّق المصابون فيما حدث، وهتف أحدهم:

- الرحمة.

لم يلتفت (أدهم) إليه، وهو يندفع نحو الحجرة، التي تضم رفاقه، بكل لهفة الدنيا.

وفي توتر بلغ مداه، انعقد حاجباه، وهو يحدق في (منى)، الملقاة أرضًا، وهتف:

- رباه! أهي؟!

قبل أن يتمّ هتافه، رفعت (منى) عينيها إليه، وابتسمت في ضعف، مغمغمة.

- أنا بخير يا (أدهم)

خُيِّل لـ(شريف) و(ريهام) أنه لم يشعر حتى بوجودهما، وهو يندفع نحو (منى)، ويحتويها بين ذراعيه في حنان جارف، ويتحسس جرح عنقها بأصابعه، هامسًا:

- أنت تحتاجين إلى إسعاف عاجل

ابتسمت بكل حب الدنيا، متمتمة:

- إنه مجرد جرح سطحي.

غمغمت (ريهام)، وكأنما أحنقها ألا يشعر بهما (أدهم):

- كلنا مصابون.

التفت إليها (أدهم)، وهو يتساءل في اهتمام:

- أأنتم بخير؟!

بدا (شريف) ممتعضًا للغاية، وهو يجيب في عصبية.

- كنا نعلم أنك ستأتي كنا واثقين من هذا



أخبر (شريف) و (ريهام) أنه لم يعثر على [illegible] ولم يتقدم
[illegible]

أما (ريهام) ، فقالت في توتر :

ـ ولكن السيد (فوزي) مصاب ، ويحتاج إلى إسعاف عاجل .

التقى حاجبا (أدهم) في شدة ، وهو يردد :

ـ يا إلهي ! أين هو ؟! وأين (أحمد) ؟!

أشارت (منى) بيدها ، قائلة :

ـ هناك .. في قاع تلك الصومعة .

اندفع يلقي نظرة داخل الصومعة ، وما إن رآه الدكتور (أحمد) ، حتى هتف في لهفة ممتزجة بالارتياح .

ـ (أدهم) .. حمداً لله .. حمداً لله

أشار (أدهم) إلى (فوزي) ، وهو يسأل شقيقه في قلق بالغ :

ـ ماذا أصابه ؟!

أجابه (أحمد) في عصبية

- ورصاصة في الصدر .. لابد أن نجد وسيلة لإخراجه من هنا بأقصى سرعة .. إنه سيلفظ أنفاسه الأخيرة بين أيدينا، لو لم نربح كل دقيقة ممكنة

ازداد انعقاد حاجبي (أدهم)، وهو يعتصر ذهنه، قائلاً في حزم:

- سنجد وسيلة ما يا (أحمد) .. سنجد وسيلة ما بإذن الله (سبحانه وتعالى)، وعنايته

في نفس اللحظة، التي نطق فيها عبارته، كان (يوري إيفانوفيتش) يمسك هاتفه المحمول في قوة، قائلاً، وهو يسيطر على أعصابه بكل طاقته:

- إنني أعتد عليها ذلك المصري .. كنت واثقاً من أنه لم يلق مصرعه .. كنت واثقاً تمام الثقة

ثم انعقد حاجباه في شدة، وهو يسأل محدثه:

- هل أعددتم ما أمرتكم به ؟!

كان من الواضح أن محدثه قد أجابه بالإيجاب، فقد

نفث دخان سيجارته في قوة وعصبية، قبل أن يقول في وحشية:

- اقتلوهم .. لا أريد أن تتبقى ذرة واحدة منهم .. هل تفهم ؟!

انعقد حاجبا (روشا) في شدة، وهي تتساءل عما يعنيه بقوله هذا، في حين أنهى هو الاتصال، وتراجع في مقعده، وانفعال جارف يعصف بكل ذرة من كيانه، وعقله يتساءل في عصبية غاضبة:

كيف أفلت (أدهم) من الموت هذه المرة ؟!

كيف ؟!

كيف ؟!

* * *

« لقد انطلق مقعد الطائرة .. »

نطق (سيرجي كوربوف) العبارة، وهو يشير إلى جزء تم تصحيحه وتكبيره من شريط المراقبة البصرية، ثم تراجع مبتسماً، والفيلم يتواصل على شاشة متوسطة الحجم.

- في اللحظة الأخيرة ، وبمهارة مذهلة كعادته .
جذب تلك الذراع الاحتياطية الصغيرة ، الملصقة بمقعد القيادة ، والمسئولة عن إطلاق المقعد بركابه خارج الطائرة ، كإجراء احتياطي . وهذا ما يفعله أي طيار محترف ، في ظروف مماثلة ، ولكن العبقرية هي تكمن في أنه قد فعل هذا في اللحظة الأخيرة ، بحيث يضيع مرآه وسط الانفجار ، ثم لم يفتح مظلة المقعد ، إلا في اللحظة الأخيرة أيضًا ، وبعد أن أخفته قمم الأشجار العالية عن عيون أي مراقبين محتملين ، على الرغم مما في هذا من صعوبة وخطورة ..

ثم هز رأسه ، قبل أن يضيف :

- عبقري ومذهل كعادته .

ابتسم (أسعد) في ارتياح ، وهو يقول .

- المهم أنه على قيد الحياة .

التفت إليه (سيرجي) ، قائلاً في صرامة .

- مؤقتًا .

انعقد حاجبا (أسعد) ، في حذر حائر ، فتابع (سيرجي) بنفس الصرامة :

- وفقًا لما نراه ، فقد هبط (أدهم) على مشارف (ليننجراد) ، وكل ما سبق هذا من أحداث يؤكد أنه يسعى إلى صومعة (جاروف) للقتال ، وهي منطقة تقع تحت حماية (المافيا) الروسية ، ثم إن زعيمهم الجديد (يوري) رجل ذكي أكثر مما ينبغي ، وسيدرك حتمًا هدف (أدهم) ، الذي يسعى خلف رفاقه ، في محاولة لإنقاذهم ، ولن يسمح له (يوري) بهذا أبدًا .

قال (أسعد) في توتر :

- وما دمت تعلم هذا ، وتعلم أيضًا أن (أدهم) بريء من محاولة اغتياله ، فلماذا لا نتحرك في سرعة ، لإنقاذه من كل هذا ؟!

التقى حاجبا (سيرجي) الكثان ، وهو يقول :

- لأنني الوحيد ، الذي يؤمن بهذا

بدت الدهشة على وجه (أسعد) وصوته ، وهو يغمغم :

- وكيف هذا ؟! ألم يقل قائد الدفاع الجوى إن الرئيس نفسه قد ..

قاطعه (سيرجى) ، وهو يشير بيده ، قائلا :

- الرئيس يتحرك وفقا لخطة كبرى ، لكشف الحقيقة ، وسط صفوف المخابرات الروسية ؛ لأننا نثق بأن عملية سرقة غاز الأعصاب القاتل ، لم تكن لتتم بنجاح ، دون تورط بعض القيادات الداخلية فيها ، ومصرع الجنرال (فاسيلوف) يؤيد هذه النظرية .

قال (أسعد) فى عصبية :

- إذن فكل هذا من أجل عملية غاز الأعصاب ، وليس من أجل (أدهم) ؟!

أومأ (سيرجى) برأسه إيجابا ، وقال :

- نعم .. حتى متابعة عملية اختطاف (المبج) ، تمت بكل هذا الاهتمام وهذه السرية ؛ لأننى أوهمتهم أنها تتعلق بعملية غاز الأعصاب ، وليس بـ (أدهم) .

سأله (أسعد) ، وقد بلغت حيرته ذروتها :

- ولكن لماذا ؟! لماذا تفعل كل هذا من أجل (أدهم) ؟!

أجابه (سيرجى) فى صرامة :

- لست أفعل هذا من أجل (أدهم) .

ثم شد قامته ، مستطردا فى حزم :

- إننى أفعله من أجل (روسيا) .

سأله (أسعد) فى عصبية :

- وكيف هذا ؟!

مط (سيرجى) شفتيه ، وبدا مترددا بضع لحظات ، قبل أن يقول فى حزم صارم :

- لقد استشرى الفساد بيننا يا رجل ، حتى لم يعد هناك من يمكننى أن أثق به ، لمواجهة عملية غاز الأعصاب ، دون أن أكتشف ، فى لحظة الذروة ، أنه يعمل لحساب (المافيا) .

وصمت لحظة ، قبل أن يتابع :

- رجل واحد ، كان يمكننى أن أمنحه ثقتى ، وأن

أسعى إليه ؛ للعمل جنبًا إلى جنب ، فى مواجهة هذه الكارثة العالمية .

غمغم (أسعد) فى انفعال :

- (أدهم) !؟

استدار إليه (سوجى) ، مجيبًا فى صرامة .

- بالتأكيد .

ثم عاد ببصره يشرد ، وهو يضيف :

- المهم أن يبقى على قيد الحياة ، حتى أصل إليه .

والتقى حاجبا (أسعد) فى شدة ..

فبالفعل ، كان هذا هو المهم

جدًا .

* * *

أحكم (أدهم) رباط الحبل السميك ، الذى أحاط به جسد (قدرى) الضخم ، ليثبته فى الباب الكبير ، الذى انتزعه

من الحجرة ، وأرقد عليه صديق عمره ، قبل أن يقول لشقيقه فى حزم :

- سنستخدم سيارة هؤلاء القتلة ؛ لأرفع جسد (قدرى) من هنا .. كل ما عليك هو أن تتابع عملية انتشاله ، حتى يبلغ السطح ، وبعدها سننطلق بالسيارة إلى أقرب مستشفى ، فذلك هنا يحتاج إلى إسعاف عاجل .

غمغم الدكتور (أحمد) :

- بالتأكيد .

ثم تطلع إليه بقلق بالغ ، مضيفًا :

- كنت أيضًا بحاجة إلى فحص شامل ، حتى لا يفاجئك انهيار جسدك ، فى ظروف أكثر صعوبة من هذه ، مادامت المعركة لم تتوقف بعد

أجابه (أدهم) فى حزم ، وهو يثب متعلقًا بالحبل ، الذى ثبته فى سيارة القتلة (الجيب) :

- لا وقت لهذا يا شقيقى العزيز ، فالمعركة الحقيقية لم تبدأ بعد .

اتسعت عينا (أحمد) ، وهو يهتف في ارتياع :

- لم تبدأ بعد ؟! ماذا تعني يا (أدهم) ؟!؟ ماذا تعني ؟؟

لم يجب (أدهم) ، وهو يتسلق الحبل في خفة ونشاط ، حتى بلغ الحجرة العلوية ، حيث جلس (شريف) و(ريهام) و(منى) ، والدماء ما زالت تنزف من جروحهم ، على الرغم من الضمادات البدائية التي أحاطوها بها ، لتتطلع إليهم لحظة ، في توتر مشوب بالقلق ، قبل أن يقول :

- سأبذل قصارى جهدي .

قالها ، ثم انطلق إلى السيارة ذات الدفع الرباعي ، التي تقف أمام المبنى ، وتأكد من أن الحبل مثبت بها جيدًا ، قبل أن يثب إلى مقعد قيادتها ، ويدير محركها ، ثم يتحرك بها إلى الأمام في بطء .

وهناك ، داخل الصومعة ، بدأ جسد قدري الضخم يرتفع ..

ويرتفع ..

ويرتفع ..

وغمغم الدكتور (أحمد) في ارتياح :

- حمدًا لله .. حمدًا لله ما زال هناك أمل .. حمدًا لله

وفي الحجرة العلوية ، تابعت (منى) ارتفاع جسد (قدري) ، على الرغم من جرحها ، والدماء التي تغرق عنقها وصدرها وذراعها ، وراحت تهتف في حماسة .

- هيا يا (أدهم) .. هيا .. متر آخر ، ويصبح (قدري) هنا .. هنا .

لم يكن (أدهم) بحاجة لهتافها ، وهو يتحرك إلى الأمام في بطء وحذر أكثر ، حتى سمع (منى) تهتف في سعادة :

- إنه هنا .

كان الحبل مثبتًا في قائم خشبي قوي ، في سقف الحجرة ، لذا فقد تعاونت (ريهام) مع (منى) ، لدفع الباب ، الذي استقر فوقه جسد (قدري) ، الذي تغرق الدماء صدره ، حتى أصبح فوق الأرضية ، فهتفت (منى) بكل قوتها :

- إنه هنا يا (أدهم).. إنه هنا..

التقطت أذنا (أدهم) هتافها، فأغلق عينيه في ارتياح، قبل أن يغمغم:

- تماسك يا (قدري).. تماسك يا صديقي العزيز.. لا تتعجل بالرحيل، بعد كل ما نبذله من أجلك.. ابق معنا بالله عليك يا صديقي.. ابق معنا..

قالها، وأفرغ لواعج قلبه كله في تنهيدة ملتهبة، قبل أن يغادر السيارة، ويحاول أن يبتسم، مضيفًا:

- حانت لحظة الخروج من هنا، والأفضل أن...

قبل أن تكتمل عبارته، انطلق دوي رصاصة فجأة، ورآها (أدهم) تخترق زجاج السيارة، فألقى نفسه أرضًا، وهو يهتف:

- رباه! هناك المزيد منهم..

لم تكد عبارته تكتمل، حتى انهالت الرصاصات

على السيارة كالمطر، في نفس اللحظة التي اشتعلت فيها النيران فجأة، في دائرة واسعة، تحيط بالصومعة..

وبسرعة مدهشة، وعلى نحو يوحي بأن كل شيء معد مسبقًا، انتشرت دائرة النيران، وراحت تلتهم كل شيء في طريقها، وهي تتجه نحو الصومعة من كل صوب..

ومن موقعها، صرخت (ريهام):

- يا إلهي! ما هذا؟! ما هذا؟!

أما (منى) فقد اتسعت عيناها عن آخرهما، وهي تحدق في النيران، التي شقت طريقها في سرعة، حتى بلغت سيارة الدفع الرباعي، التي يختفي خلفها (أدهم)، في نفس الوقت الذي واصلت فيه الرصاصات انهمارها في عنف وغزارة، وكأنما الغرض الرئيسي منها هو ألا تمنحه فرصة للخروج من مكمنه، حتى تبلغه النيران، وتلتهمه مع السيارة التهامًا

وأمام عينيه المذعورتين ، اشتعلت النيران في السيارة بالفعل ..

وبدا من الواضح أن الفخ محكم هذه المرة ..

وأنه لاتوجد وسيلة واحدة للفرار منه

على الإطلاق

* * *

٧ ـ بلا أمل ..

« نفذ المهمة ، فور بلوغ الهدف »

علق رئيس قسم الاعتراض العبارة ، قبل أن يلتفت إلى رجال المخابرات ، وعدد من قيادات الشرطة ، مضيفا :

ـ اتصال قصير ، ولكنه يحمل المعنى المنشود ، والأمر المباشر ، من قيادة ما في (روسيا) ، أو في أي مكان آخر من العالم ، فهذا ما تعجز أجهزتنا الرقمية الحديثة عن تحديده ، ولكن جهة الاستقبال هنا ، في مكان ما داخل حدودنا يعمل قسم الاعتراض الآن على تحديد إحداثيتها بدقة أكبر

لوح أحد قيادات الشرطة بيده ، قائلا في توتر :

ـ المشكلة هي أننا لانعلم ما الهدف ، ولاحتى ما المهمة المطلوب تنفيذها ، والأخطر أننا لانعلم متى يتم هذا .

أجابه آخر من قيادات الشرطة :

ـ المهمة ، كما يمكن الاستنتاج بسهولة ، هي تفجير عدد من اسطوانات غاز الأعصاب ، في مكان ما هنا ، وهذا المكان هو ما حمل اسم (الهدف) ، ومهمتنا الآن هي أن نسعى لتحديده .

أضاف أحد رجال المخابرات في حزم :

ـ وبأسرع وسيلة ممكنة .

تراجع أحد رجال المخابرات الآخرين في مقعده ، وانعقد حاجباه في شدة ، وكأنما يدرس عقله فكرة ما ، في حين قال قائد الشرطة الأول ، وقد حملت لهجته شيئًا من العصبية :

ـ إننا نبذل قصارى جهدنا بالفعل ، ولكن الوقت يمضي بسرعة مما يضعف التحكم في الأمر

اعتدل رجل المخابرات ، الذي ظلَّ صامتًا منذ البداية ، وقال في حزم :

ـ فلنوقف الوقت إذن .

التفت إليه الجميع في دهشة متسائلة ، وسأله أحد زملائه في حيرة :

ـ وكيف يمكن لأي مخلوق ، مهما بلغت قوته ، أن يوقف الزمن ؟!

بدا الرجل مفعمًا بالحماسة ، وهو يجيب :

ـ إنه مصطلح مجازي ، ولكن المقصود به هو كسر الشفرة ، التي حملها ذلك الأمر الوحشي ، عبر اتصال الأقمار الصناعية .

انتقل الاهتمام إليه ، وأحد قيادات الشرطة يسأله :

ـ أيمكنك أن تفسر أكثر ؟!

نهض رجل المخابرات من مقعده ، وبدأ يتحرك في المكان في حماسة ، وهو يقول :

ـ العبارة التي التقطتها أجهزة الاعتراض الرقمية الحديثة واضحة تلقائية . «نفذ المهمة ، فور بلوغ الهدف» . عبارة شرطية مباشرة ، لابد أن يبلغ فيها شخص ما ، أو فريق ما منطقة تم الاصطلاح على تسميتها بالهدف ، ليتم تنفيذ المهمة .

والتقط نفسًا عميقًا ، مع اعتداله لمواجهة العيون التي تتابعه في اهتمام ، قبل أن يتابع في حزم

ـ مهمتنا إذن أن نمنع عملية بلوغ الهدف ، حتى لا يتم تنفيذ المهمة

تساءل أحد قيادات الشرطة ، في اهتمام بالغ :

ـ وكيف يمكننا أن نفعل هذا ؟!

أشار إليه رجل المخابرات ، قائلاً :

ـ إنها مهمتكم .

تساءل الرجل في دهشة :

ـ مهمتنا نحن ؟! أتقصد جهاز الشرطة ؟!

أجابه في سرعة :

ـ بالطبع .. الاتصال يؤكد أن شحنة مطورات الغاز تتحرك الآن ، لبلوغ الهدف ، وشحنة كهذه لن يتم نقلها على أكتاف الرجال ، وإنما بوساطة سيارة من سيارات نصف النقل ، أو حتى داخل سيارة أو عدة

سيارات عادية .. وهذا يعني ، في كل الأحوال ، أن النقل يتم عبر طرق رئيسية ، أو حتى فرعية

وصمت لحظة ، ثم أضاف في حزم

ـ فلنغلق كل الطرق إذن .

اتسعت عيون الجميع في دهشة ، وهتف به أحد قيادات الشرطة في حدة :

ـ هل تتحدث جديًا يا رجل ، أم أنها أكثر الدعابات سماجة ، في الدنيا كلها ؟! هل تدرك ما الذي يمكن أن يفعله إغلاق جميع الطرق في (مصر) كلها ؟!

التقى حاجبا رجل المخابرات ، وهو يجيب في صرامة :

ـ نعم .. سينقذ حياة الآلاف ، الذين يمكن أن يحصدهم الغاز القاتل في دقائق معدودة .. وسيمنع انفجار حالة من الذعر والهلع ، تعجز معها أية قوة في الأرض ، عن السيطرة على الموقف ، وستغلق معها كل الطرق ، في طول البلاد وعرضها ، إجباريًا هذه المرة

تراجع قائد الشرطة ، وتبادل نظرة متوترة مع رفاقه ، قبل أن يغمغم ، في لهجة توحي باقتناعه بالأمر ، على الرغم من صعوبته وخطورته :

- إجراء كهذا يحتاج إلى موافقة سيادة وزير الداخلية شخصياً .

أشار رجل المخابرات بيده ، قائلاً :

- لاتحمل هذا بقلقك ، سأبلغ سيادة المدير ، ليقوم باتصاله به فوراً ، لاتخاذ كل الإجراءات الواجبة .

تبادل رجال الشرطة النظرات مرة أخرى ، قبل أن يتساءل آخر في اهتمام :

- وكم سيستغرق هذا في رأيك ؟!

استدار رجل المخابرات إلى رئيس قسم الاعتراض بنظرة متسائلة ، فتنحنح هذا الأخير ، قبل أن يجيب :

- الرجال يحتاجون إلى ساعة واحدة على الأقل ؛ لتحديد موقع وإحداثيات الاستقبال

تساءل رجل الشرطة :

- وبعدها ؟!

أجابه رجل المخابرات هذه المرة ، قائلاً :

- بعدها سنقتصر عملية إغلاق الطرق على الممرات الأساسية والفرعية ، التي تمتد من المنطقة ، التي تم عندها استقبال الاتصال .

اندفع رجل الشرطة الثالث ، يقول :

- وماذا لو تغيّرت الأوامر ؟!

استدار إليه الكل في اهتمام متسائل ، فأضاف في قلق واضح :

- ماذا لو شعر (شلينكو) هنا بإغلاق الطرق ، وأبلغ قائده في (روسيا) ، فغيّر هذا الأخير ، الذي تصفونه بالذكاء والوحشية أوامره ، وطلب منه إطلاق الغاز حيثما يتواجد ؟!

وتفجرت موجة عنيفة من التوتر في المكان ..

ولعلّ قلق عدم من كل الوجوه

وكل العيون ..

فالاحتمال، الذي طرحه قائد الشرطة، كان خطيرًا ومخيفًا ،

وممكنًا ..

إلى درجة رهيبة ..

* * *

تراجع الجنرال (جوزيف كوالسكي) في مقعده، داخل حجرة مكتبه الواسعة، في مبنى المخابرات الروسية، وتطلع بصمت لحظات إلى مبنى (الكرملين)، الذي تطل عليه نافذة حجرته مباشرة، وبدت عليه علامات التفكير بعض الوقت، قبل أن يلتفت إلى زميله (بافلوف)، قائلاً:

- إذن فقد أخرج الكولونيل (كوربوف) مسئول المخابرات المصري (أسعد) من زنزانته، ولم يكتف بفعل هذا، دون الرجوع إلى رؤسائه، وإنما اصطحبه

أيضًا إلى قيادة الدفاع الجوي، مخالفًا بذلك كل قواعد الأمن والسرية

أومأ (بافلوف) برأسه مؤيدًا، فانعقد حاجبا (كوالسكي)، وغرق في التفكير العميق لبضع لحظات أخرى، قبل أن يتساءل:

- وماذا فعل بعدها ؟!

مال (بافلوف) إلى الأمام، وخفض صوته، وكأنما يخشى أن يسمعه أحد، وهو يجيب:

- استقل طائرة من طائراتنا الخاصة، مع ذلك المصري، وأقلع به إلى (ليننجراد)

ازداد انعقاد حاجبي (كوالسكي)، وهو يعتدل في مقعده بحركة حادة، قائلاً:

- قيادة الدفاع الجوي، ثم (ليننجراد) ؟!

غرق في تفكير متوتر لدقيقة، قبل أن يلتقط هاتفه المحمول، قائلاً في عصبية شديدة:

ـ هناك تأكيد بصرى .. هؤلاء الأوغاد أنكروا، ولكنوا على أمر التأكيد البصرى .

نطقها ، وهو يضرب أزرار الهاتف ، قبل أن يهتف عبره :

ـ لقد خدعوك أيها الزعيم .

أتاه صوت (يورى بيلانوفيتش) ، مفعمًا بالغضب والشراسة ، وهو يقول :

ـ خدعوك أنت أيها الغبى .. لو علمت أن (أدهم صبرى) مازال على قيد الحياة ، بعد حادث الموج .

امتقع وجه (كوليسكى) ، وهو يقول :

ـ ولكن كيف ؟

زمجر (يورى) فى غضب هادر ، وهو يقول

ـ ابحث أنت عن جواب السؤال ، أما أنا ، فلدى مهمتان أكثر تعقيدًا ، أولهما أن أضمن ألا يتكرر هذا ثانية .

سأله (كوليسكى) فى حذر متوتر

ـ ألا يتكرر ماذا ؟!

أجابه (يورى) فى شراسة أكثر

ـ ألا ينجو (أدهم صبرى) مرة أخرى .. أبدًا .. ومهما كان الثمن

تردد (كوليسكى) لحظة فى صعوبة ، وهو يقول :

ـ هل لى أن أعرف كيف ؟!

قاطعه (يورى) فى غضب وحشى

ـ كلا .. لا يمكنك هذا .

ثم أنهى الاتصال فى عنف ، جعل وجه (كوليسكى) يمتقع أكثر ، وهو يحدق فى وجه زميله (بافلوف) ، الذى قال فى حرج :

ـ من الطبيعى أن يشعر بالغضب ، و ...

قاطعه (كوليسكى) ، وهو يميل نحوه ، ويسأله فى عصبية :

- كيف كان رجالك يراقبون (كوربوف) ؟!

سأله (بافلوف) في حذر .

- ماذا تعني ؟!

هتف به ، في عصبية أكثر :

- هل اكتفوا بمتابعته ، أم أن لديهم بعض التسجيلات والصور ، وما شبهه ؟!

أجابه (بافلوف) في حذر :

- لاتوجد تسجيلات ، ولكن هناك بعض الصور ، و

قاطعه في انفعال

- هناك صور تجمعه مع ذلك المصري ، في أثناء دخولهما مقر قيادة الدفاع الجوي ؟!

أومأ (بافلوف) برأسه ، قائلاً في حذر قلق

- بالتأكيد .

تراجع (كوليسكي) في مقعده مرة أخرى ، هاتفاً

- عظيم

سأله (بافلوف) ، وقد تضاعف حذره .

- ما الذي تفكر فيه بالضبط يا جنرال ؟!

بدت لحظة (كوليسكي) عصبية شرسة ، وهو يلتقط سماعة الهاتف الداخلي المؤمن ، قائلاً :

- سكرتير

راقبه (بافلوف) ، وهو يطلب رقماً داخلياً قصيراً ، ثم هتف بصوت أقرب إلى الذعر

- المدير ؟! هل ستتحدث إلى المدير ؟!

استدار إليه (كوليسكي) ، وهو يقول في صرامة شرسة :

- اصمت

ثم تلاشت صرامته دفعة واحدة ، على نحو عجيب ،



والتفت (بافلوف) ، وهو يطلب رقمًا داخليًا قصيرًا

عندما سمع صوت المدير ، على الجانب الآخر التقط ، وابتسم في سرعة ، قائلا

- مرحبًا يا سيادة المدير ... في آخر مرة ، كنا نتحدث عن حتمية وجود خائن بين الصفوف ... أليس كذلك ؟!

وصمت لحظة ، ليستمع إلى رد المدير ، ولقد اتسعت ابتسامته ، واكتست بظفر وحشي ، وهو يغمز بعينه لزميله في الخيانة (بافلوف) ، قائلا :

- أعتقد أن لدي بعض الأدلة والوثائق والبراهين ، التي تجعلك تدرك من هو الخائن هنا .

قالها ، واتسعت ابتسامته الوحشية أكثر

وأكثر .

وأكثر

* * *

« لست أفهم هذا أبدًا .. »

ألقى (أسعد) العبارة في عصبية ، وهو يجلس

داخل الطائرة الخاصة الصغيرة ، التي تنطلق به مع (سيرجي) ، نحو (ليننجراد) ، فالتفت إليه هذا الأخير ، وهو يقول ببروده الصارم التقليدي

- ما الذي لاتفهمه ؟!

لوّح (أسعد) بيده ، قائلاً

- لماذا نقطع كل هذه المسافة ؛ لمساعدة (أدهم) ، في قتاله ضد (المافيا) الروسية في (ليننجراد) ؟! لماذا لم تصدر أوامرك لمكتبكم هناك ، حتى يؤمنوا له وسائل الحماية اللازمة ، حتى نبلغ موقعهم .

هزّ (سيرجي) رأسه ، قائلاً :

- لا يمكنني أن أثق بأحد .

مطّ (أسعد) شفتيه ، وقال في عصبية

- من المستحيل أن يكون الفساد قد استشرى إلى هذا الحد ؟!

أجابه (سيرجي) في صرامة -

- ولم لا ؟ الفساد نار تنتشر ، في كل اتجاه قابل

للاشتعال ، والمال كان وسيظل دوماً إغراءً لا يقاوم ، مادام المرء يفتقر إلى الشرف والنزاهة

قال (أسعد) في سرعة :

- والإيمان .

تنهد (سيرجي) ، وغمغم .

- نعم .. والإيمان

هز (أسعد) رأسه ، قائلاً في توتر :

- ولكن ما أخشاه أن نصل بعد فوات الأوان

انعقد حاجبا (سيرجي) الكثين في شدة ، وهو يقول

- أخشى ألا يحدث هذا ؛ فقد وضعت آمالاً عريضة ، على وجود (أدهم) ؛ لمكافحة هذا الموقف العصيب الرهيب ، الذي يواجهنا جميعاً .

ثم تراجع في مقعده ، مستطرداً في عمق :

- ولو أنه لقي مصرعه قبلها ، فلا أحد يعلم ما سيصبح عليه مصير العالم عندئذ .

فتلك حلبها (أسعد)، وهو يدرس عبارة (سيرجى) الأخيرة، ولمحة من الخوف تتسلل إلى أعماقه، مع تساؤل رهيب ..

ترى هل سيصلان في الوقت المناسب ؟!

هل ؟!

* * *

« لا يا (أدهم) .. لايمكن أن تسمح بحدوث هذا »

ترددت العبارة في رأسه بقوة، والنيران تمتد من كل اتجاه حوله، وتنتشر في سرعة مخيفة، لتحاصر الصومعة، التي تضم كل رفاقه .

« لايمكن أن تسمح بحدوث هذا أبدًا .. »

« إنك لم تقطع كل هذه المسافة، ولم تقاتل بكل هذا العنف، وتبذل كل هذا الجهد، لتراهم يحترقون أمامك هكذا، بلا رحمة أو هوادة .. »

« مستحيل أن يحدث هذا ! »

« مستحيل !! »

« مستحيل !! »

اشتعلت النيران في مؤخرة السيارة، التي يحتمي بها من الرصاصات المنهمرة، والتي لاتتوقف لحظة واحدة، ولكن الغضب العارم، الذي ملأ كل ذرة من كيانه، جعله لايبالي بالنيران وألسنة اللهب ..

لقد صار في وجوده كله هدف واحد ..

أن ينقذ رفاقه من هذه الميتة البشعة ..

وبأي ثمن ..

وفي حزم عجيب، وعلى الرغم من الرصاصات المنهمرة، وألسنة اللهب، المنطلقة من مؤخرة السيارة، وثب (أدهم) إلى مقعد قيادتها، وهو يقول في صرامة :

ـ فليكن أيها الأوغاد .. أنتم تسعون للمواجهة .. فلتنالوها إذن .

ضغط دواسة الوقود في قوة، فانطلقت السيارة، تطلق ألسنة اللهب، نحو البقعة التي تنهمر منها الرصاصات ..

مشهد رهيب، ذلك الذي رآه رجل (المافيا) الروسية، من مكمنهم، وسط الأشجار المحيطة بالصومعة ..

سيارة تصف مشتعلة ، تعبر ألسنة اللهب على نحو مهيب ، وكأنما لم يعد يبالي قائدها ، بذلك الجحيم المحيط به من كل صوب ، وهو ينطلق نحوهم بأقصى سرعة ..

كانوا عشرة رجال ، هم كل من تمكن (بودى) من جمعهم بهذه السرعة ، من أحياء (الهيجرا) القريبة من الصومعة ، وكل منهم يحمل مدفعا آليًا ، من أفضل وأحدث الأنواع ، وعلى الرغم من هذا ، فقد أصابهم مرأى السيارة المشتعلة ، وهي تنقض عليهم برعب هائل ، جعلهم يتركون أماكنهم ، ويعدون باضطراب في كل مكان ..

ولكن السيارة المشتعلة واصلت الانطلاق نحوهم ، و(أدهم) داخلها يقول لنفسه في صرامة :

ـ فليكن يا (أدهم) . صحيح أنك تبغض القتل والتدمير ، ولكن الأمر هذه المرة لا يحتمل المساومة بين حياتهم ، أو حياة كل من تحب ، في هذا العالم .

كانت النيران قد امتدت إلى النصف الخلفي للسيارة بأكمله ، وإلى إطاراتها الأربعة ، وخزان وقودها

ولكن (أدهم) واصل انطلاقه بها ، خلف قتلة (المافيا) ، قبل أن يهتف :

ـ الآن تبدأ مهمتك وحدك أيتها السيارة

ومع هتافه ، وثب خارج السيارة ، وترك جسده يتدحرج فوق العشب ، في حين واصلت السيارة طريقها ، حتى ارتطمت بإحدى الأشجار ، و . .

ودوى الانفجار ..

انفجار عنيف ، مزق السيارة الكبيرة ، ونسف خزان وقودها نسفا ، فتناثر الوقود المشتعل في مساحة واسعة ، وتساقط على أجساد قتلة (المافيا) الروسية ، فانطلقت صرخاتهم المذعورة ، وهم يعدون في كل اتجاه ..

أما (أدهم) ، فقد هب واقفًا على قدميه ، واستدار إلى حيث الصومعة ، التي ترك فيها رفاقه ..

ولكن ألسنة اللهب كانت تقترب منها بسرعة أكبر ..

وأكبر ..

وأكبر ..

وبكل توتر القلب ، اندفع (أدهم) نحو واحدة من السيارات ، التي تركها القتلة خلفهم ، ووثب داخلها ، وانطلق بها عائدًا إلى الصومعة ، وهو يهتف :

- ربّاه ! تُرى ماذا يفعلون الآن ؟! ماذا أصابهم ؟!

في نفس اللحظة ، التي انطلق فيها هتافه كانت (منى) تقول في ارتياع :

- النيران تقترب بسرعة مخيفة .

قسمت عنا (شريف) ، وهو يقول بكل توتر الدنيا :

- ماذا نفعل ؟! ماذا نفعل ؟!

تلفتت (ريهام) حولها ، هاتفة :

- آه لو وجدنا أي شيء ، يصلح لصنع قنبلة .

هتفت بها (منى) ، في دهشة مستنكرة :

- قنبلة ؟! في مثل هذه الظروف ؟!

أجابتها (ريهام) ، وهي تندفع نحو بعض الأشياء المهملة في الركن :

- بالتأكيد .. النيران تنتشر بسبب الأكسجين في الهواء .. إنه لا يشتعل ، ولكن وجوده ضروري لمواصلة الاشتعال ، وحدوث انفجار يؤدي إلى خلخلة الهواء ، إلى مسافة تتناسب مع قوته ، وهذا يؤدي إلى نقص حاد مفاجئ في الأكسجين ، مما يؤدي إلى إطفاء الحريق ، وهذا ما يفعلونه لإطفاء آبار البترول المشتعلة ، التي يعجزون عن السيطرة عليها بالطرق التقليدية (*) .

كان التفكير يتسلّل إلى المشكل ، على نحو جعل (منى) تسعل ، هاتفة :

- وهل يمكن أن يوجد شيء صالح هنا ؟!

أجابتها (ريهام) ، وهي تفحص كل ما بالركن ، في لهفة واهتمام :

(*) حقيقة .

- أى شىء يمكن أن يصلح ، مادام لدينا مصدر للاشتعال

سعل (شريف) بدوره ، وهو يهتف :

- أخشى أنه ليس أمامنا سوى سبيل وحيد حاليًا ، للنجاة من النيران .

سألته (منى) فى توتر ، وهى تحاول اختراق ألسنة اللهب ببصرها ، بحثًا عن (أدهم) :

- وما هو ؟!

سعل مرة أخرى فى قوة ، مجيبًا :

- أن نعود إلى الصومعة ؟!

استدارت إليه (ريهام) ، هاتفة فى استنكار :

- الصومعة ؟! هل جننت ؟!

لوّح بيده ، وهو يسعل ، قائلاً :

- إنها المكان الوحيد ، الذى لن تبلغه النيران .

هزّت (منى) رأسها فى قوة ، وهى تلوح فى عصبية :

- خطأ .. الصومعة ستصبح أشبه بفرن حقيقى ، عندما تمتلئ بدخان الحريق ، وتختنق داخلها كلنا

ثم عضت شفتيها ، مضيفة فى عصبية أكثر :

- ثم كيف سنعود (فكرى) إليها ؟!

عضّ (شريف) شفتيه ، وهو يلقى نظرة على (فكرى) ، مضمض ، وقد انتقلت إليه عصبية (منى)

- آه .. كيف نسيت هذا ؟!

مع آخر حروف عبارته ، اخترق (أدهم) ألسنة اللهب مرة أخرى ، بسيارة أخرى من سيارات الدفع الرباعى ، توقف بها على بعد متر واحد من الحجرة الخشبية ، التى تخفى فتحة الصومعة ، فهتفت (منى) فى لهفة وسعادة

- لقد عاد (أدهم) .. عاد .

أجابتها (ريهام) فى توتر شديد ، وهى تلتقط بعض الأدوات ، وتصل بها فى سرعة .

ـ عدْ إلى الجحيم ... يالها من عودة !

وثب (أدهم) عبر السيارة ، وهو يحمل غطاءها القماش الكبير ، وراح يلوّح حولها فى سرعة ؛ ليطفئ ما التقطته من نيران ، فاندفعت (منى) إليه ، ولهثت مع سعاله ، وهى تهتف :

ـ حمدًا لله على سلامتك .

ربّت على كتفها فى توتر ، وهتف بها :

ـ خذى مقعد القيادة ، وتراجعى حتى باب الحجرة

سألته ، وهى تنفذ أمره فى آلية :

ـ ماذا ستفعل ؟!

أجابها فى حزم شديد ، وهو يعدو إلى الحجرة :

ـ سأحضر (قدرى) .

هتفت :

ـ مستحيل ! لن يمكنك إحضاره وحدك .

نفس الكلمة هتفت بها (ريهام) ، عندما أمسك (أدهم) الحبل ، الذى يربط تلك الباب الثقيل ، حيث استقر جسد (قدرى) ، فى حين أضاف (شريف) ، فى توتر بالغ :

ـ كلنا مصابون أيها القائد ... لن تجد من يمكنه مساعدتك

صاح (أدهم) فى صرامة آمرة :

ـ إلى السيارة كلكم .. هيا

حملت (ريهام) ما صنعته ، وعاونت (شريف) على النهوض ، وهى تقول :

ـ سيادة العميد .. ربما لو ....

قاطعها بصيحة صارمة :

أسرعت و(شريف) ينفذان الأمر ، فى حين أمسك هو الحبل فى قوة ، ومرره على كتفيه ، وهو يتطلع إلى جسد (قدرى) الفاقد الوعى ، مغمغمًا :

- لن أتخلى عنك يا صديقي.. لن أتركها، مهما كان الثمن.

أما (ريهام)، فلم تكد تبلغ السيارة، حتى لوّحت بما تحمله، قائلة في انفعال شديد، وهي تراقب ألسنة اللهب:

- لقد صنعتها.. قليل من الطلاء، مع عبوة من الأسيتون*، وثلاث عبوات من المبيدات الحشرية، في أسطوانات مضغوطة.. سنستخدمها لصنع انفجار محدود، يفتح أمامنا ممرًا للخروج من هنا

تلفتت (منى) في عصبية، وهي تتطلع خلف ظهرها، إلى مدخل الحجرة الخشبية، حيث تراجعت بالسيارة لتصبح على مسافة متر واحد منها، كما أمرها (أدهم)، وهي

(*) الأسيتون: مركب عضوي، عديم اللون، هو سائل قابل للاشتعال، يتكون من الكربون والهيدروجين والأكسجين، له مذاق ورائحة نفاذة، يغلي عند درجة (٥٦,٢°)، ويستخدم بكثرة كمذيب لمعظم المواد العضوية، كما يستخدم لصناعة (السليولويد)، والمساحيق التجميلية، وفي صناعة (الكلوروفورم)، ويتم تحضيره بالتقطير الخشبي مع خلات الكالسيوم، وذلك بتقطير الخشب.

تتساءل عما سيفعله هذا الأخير، لإخراج (قدري) من المكان، بجسده الضخم الثقيل، و..

وفجأة، اتسعت عيناها عن آخرهما في ذهول،

وكذلك عيون (شريف) و(ريهام).

فأمام عيون ثلاثتهم كان (أدهم) يعبر باب الحجرة، وهو يسحب خلفه، بقوة رهيبة، ذلك الباب الخشبي الثقيل، الذي يستقر فوقه جسد (قدري) الفاقد الوعي.

كان من الواضح أنه يبذل جهدًا يفوق قدراته، مع ذلك العرق الغزير، الذي غمر وجهه وجسده كله.

ووثبت (منى) من السيارة، وهي تتطلع نحوه، هاتفة:

- يا إلهي! كيف فعلت هذا؟!

أشار إليها في صرامة، قائلاً:

- افتحي الباب الخلفي.

أسرعت تنفذ أمره، وتفتح الباب الخلفي للسيارة، وهي تسأله في توتر بلغ مداه.

- ولكن كيف سترفعه إلى داخل السيارة ؟!

استدار (أدهم)، يمسح العرق الذي يغمره، وتطلع إلى (فكري)، مجيبًا بكل حزم وصرامة وثباتا :

- لن أتخلى عنه .. أبدًا .

كانت النيران قد بلغت مؤخرة تلك الحجرة الخشبية الكبيرة بالفعل، عندما ألقى (أدهم) سترته جانبًا، ثم انحنى يحل الأحبال التي تثبت جسد (فكري) بالباب الثقيل، قبل أن يلتقط نفسًا عميقًا، ويغمغم :

- ساعدني يا إلهي !

ومرة أخرى، اتسعت كل العيون في ذهول .

لقد انقبضت عضلات جسده كلها، حتى تمزق كما قميصه، وتطايرت أزراره، وهو يرفع جسد (فكري)، وقد احتقن وجهه، حتى بدا وكأنه سينفجر، من شدة ما يبذل من جهد ..

وفي ذهول، غمغمت (ريهام)

- مستحيل !

أما (شريف)، فقد بدا له وكأنه يشاهد لقطة أسطورية، من فيلم خيالي، عندما رأى (أدهم) يرفع جسد (فكري) عن الأرض، وقد انتفخت عضلاته، وانتفخت كل عروقها، على نحو لم يشهده على بشر من قبل .

وبقفزة واحدة، وضع جسد (فكري) داخل السيارة، و(منى) تحدق فيه بكل ذعر وقلق شديد، قبل أن تغمغم

- يا إلهي ! لقد فعلتها . لقد فعلتها يا (أدهم) .

خيل إليها أنه سيسقط فاقد الوعي، من شدة شحوبه وامتقاعه، وهو يقول، وسط لهاث عنيف للغاية .

- لم يكن من الممكن أن أتخلى عنه .. لم يكن من الممكن أبدًا .

هتف (شريف) في انبهار .

- ليت لي صديق واحد مثلك أيها القائد

وفي قوة ، هزت (ريهام) رأسها ، لتنفض عنها ذهولها ، قبل أن تغادر السيارة ، قائلة في حزم .

- سنشق طريقًا للنجاة .

ألقت قنبلتها العجيبة وسط النيران ، ثم تراجعت تحمي وجهها وجسدها ، والآلام تتصاعد من إصابة كتفها وفخذها في عنف ، و ...

ودوى الانفجار ..

انفجار محدود نسبيًا ، أدى ما توقعته منه تمامًا ، فخبت النيران في مساحة محدودة ، جعلتها تهتف في ظفر .

- أسرعوا .. لن يظل هذا الوضع طويلاً .

جذب (أدهم) (منى) ، هاتفًا بها .

- أسرعي .

دفعها إلى المقعد المجاور للسائق ، ثم استعد لاحتلال مقعد القيادة ، قبل أن يعقد حاجبيه ، ويهتف بكل توتره :

- أين (أحمد) ؟!

أصاب سؤاله ثلاثتهم بالذعر ، وصاحت (منى) :

- رباه ! إنه ما زال داخل الصومعة .

انعقد حاجبا (أدهم) بشدة ، وهو يهتف :

- داخل الصومعة ؟!

أدار عينيه في حركة حادة إلى النيران التي بدأت تلتهم الحجرة الخشبية الكبيرة بالفعل ، ثم استدار بجسده كله ، إلى الفجوة التي صنعتها قنبلة (ريهام) ، في حائط النيران ، قبل أن يقول لـ (منى) في حزم صارم آمر :

- اتخذي مقعد القيادة .

هتفت به :

- ماذا ستفعل ؟!

صاح بها في صرامة شديدة :

- انطلقي فورًا ، قبل أن تفقدوا هذه الفرصة ، واستخدمي أسطوانة الإطفاء في السيارة ، لإخماد النيران ، التي ستشتعل في أي مكان بها .

احتلت مقعد القيادة بالفعل ، وهى تهتف :

— لا .. لن نتصرف بدونك .. سننتظرك حتى ..

قاطعها بصيحة هادرة :

— انطلقى .

ثم انطلق يعدو ، عائدًا إلى الصومعة ، وهو يصرخ :

— هذا أمر .

هزت (منى) رأسها فى قوة ، وهى تهتف :

— لا .. لن أرحل بدونك .. لن أطيع أوامرك هذه المرة

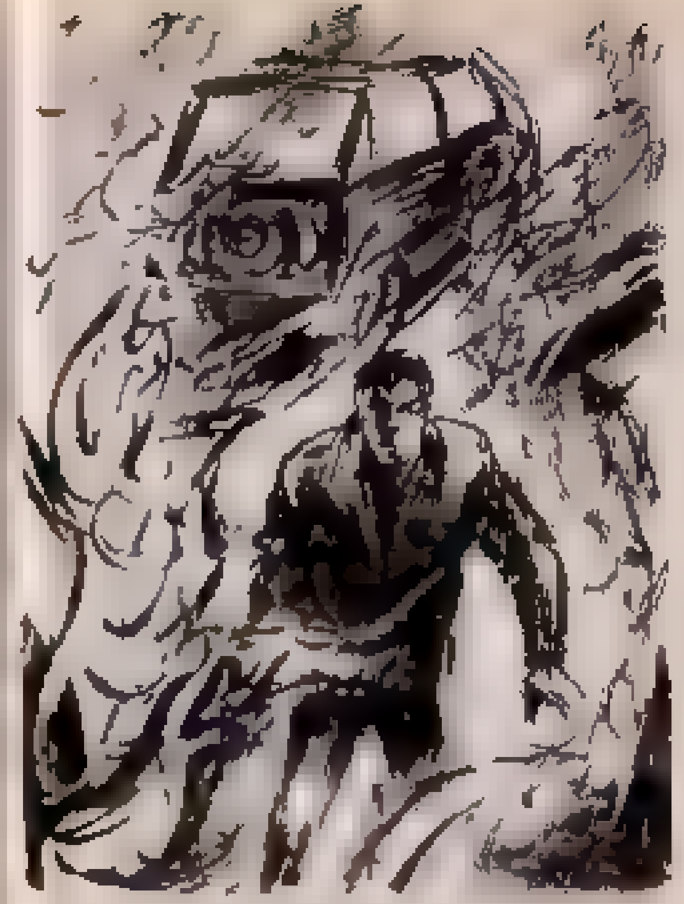
ولكن (ريهام) دفعت جسدها إلى الأمام ، ودفعت قدمها لتضغط دواسة الوقود ، وهى تقول فى حزم عصبى :

— هل نسيت كل ما تعلمناه ؟! لا يمكنك مخالفة أوامر الأستاذ قط

أطلقت (منى) صرخة يأس واعتراض عاتية ، والسيارة تندفع بهم ، مخترقة جدار اللهب ، تاركين (أدهم) خلفهم فى قلب الصومعة ..

وقلب الجحيم

* * *



أطلقت (منى) صرخة [illegible] والسيارة تندفع نحو [illegible]
محترقة جدار اللهب

٨ ـ قلب اللهب..

لم تكد الطائرة الخاصة تهبط في ذلك المطار الصغير، التابع للمخابرات الروسية في (لينتجراد)، حتى حلّ (أسعد) حزام مقعده في لهفة، وهو يقول:

ـ ربّاه! أتعشّم أن نكون قد وصلنا في الوقت المناسب.

أجابه (سيرجي) في حزم، وهو ينهض بدوره:

ـ سنعرف بعد قليل.

كانت في انتظارهما سيارة من سيارات المخابرات الروسية، اتجه إليها (سيرجي) مباشرة، وهو يقول.

ـ لقد اتخذت كل ما يلزم من إجراءات؛ لننطلق على الفور، إلى حيث مصانع (جيبروف)، على مشارف المدينة، وهو المكان الذي أعتقد أن (أدهم) والباقين فيه.

غمغم (أسعد) في توتر:

ـ هم أو جثثهم.

انعقد حاجبا (سيرجي) الكثين، وهو يقول في صرامة:

- نعم. أو مصير (روسيا) بل وربما العالم كله

كان سائق السيارة يتحدث عبر جهاز الاتصال اللاسلكي في اهتمام بالغ، حتى إنه لم ينتبه إليهما، إلى أن قال (سيرجي) في برود آمر:

- فيم تتحدث يا رجل؟!

التفت إليه السائق بحركة حادة، وحدق في وجهه لحظة بدهشة، وكأنه لم يكن يتوقع قدومه، ثم لم يلبث أن اندفع خارج السيارة، وأدى التحية في قوة، وهو يقول:

- معذرة ياكولونيل، ولكن الإدارة طلبت مني عدم مغادرة المطار، حتى إشعار آخر

تفجر قلق عارم في أعماق (أسعد)، مع عبارة السائق، في حين عقد حاجبا (سيرجي) بعنف، وهو يقول

- عدم مغادرة المطار؟! ما الذي يمكن أن يعنيه هذا؟!

حمل صوت السائق حيرة حقيقية، وهو يجيب:

- لست أدري يا كولونيل... حقًا لست أدري.

تردد انعقاد حاجبي (سيرجي)، قبل أن يغمغم:

- تُرى هل ....؟!

بتر عبارته، دون أن يكملها، فسأله (أسعد) بكل قلقه:

- ما الذي يمكن أن يعنيه هذا يا كولونيل؟!

أدار (سيرجي) عينيه إليه في توتر، قبل أن يستل مسدسه بغتة، ويدير فوهته نحو السائق، الذي انتفض في ذعر ذاهل، هاتفًا:

- ماذا حدث يا كولونيل؟!

صاح به (سيرجي)، بكل صرامته وبروده:

- ابتعد عن السيارة.

كرّ السائق، وهو يرفع ذراعيه، ويعدو مبتعدًا عن السيارة.

- ماذا حدث يا كولونيل ؟! ماذا فعلت ؟!

دفع (سيرجي) (أسعد) داخل السيارة، قائلاً في صرامة:

- أسرع.

ولم يكد (أسعد) يستقر داخلها، حتى دفع (سيرجي) جسمه إلى مقعد السائق، وأدار المحرك في سرعة، فهتف به (أسعد):

- ماذا حدث ؟!

أجابه (سيرجي)، وهو ينطلق بالسيارة:

- بعضهم عبث بالأمور، في محاولة لمنعنا من بلوغ هدفنا.

ثم أضاف، وهو يتجه نحو مخرج المطار:

- ألم أقل لك إن الفساد قد بلغ الذروة.

تراجع (أسعد) في مقعده، مرددًا:

- يا إلهي ! يا إلهي !

انطلق (سيرجي) نحو مخرج المطار، تاركًا السائق خلفه، في حالة من الذعر والذهول، و

وفجأة، ظهرت تلك السيارات الأخرى.

أربع سيارات، تحمل جيشًا من رجال المخابرات الروسية، عبر المخرج من الاتجاه المضاد، وانطلقت تحيط بسيارة (سيرجي) في سرعة، تكشف عن براعة ومهارة سائقيها ..

وفي حزم، رفع (سيرجي) فوهة مسدسه، قائلاً:

- يبدو أن الأمور لن تمضي بسلام.

تطلع (أسعد) في قلق بالغ، إلى الرجال الذين قفزوا من السيارات، وأحاطوا سيارة (سيرجي) بمدافعهم الآلية، وقال:

- مسدس واحد في مواجهة جيش كامل. أظن أن فرصتنا تقل عن الصفر ب رجل

التقى حاجبا (سيرجي)، على نحو لم يحدث من

قبل ، وهو يدرس عبارة (أدهم) ، ويتابع ببصره ذلك الرجل الفارع ، الذي أسرع نحوه ، ليتخذ موقفًا خلف السيارة ، حاملاً على كتفه مدفعًا صاروخيًا صغيرًا ، وتمتم :

- يبدو أنك على حق .

ثم أعاد مسدسه إلى غمده ، ودفع باب السيارة ، ليقفز في صرامة ، حملت رنة غضب واضحة :

- ماذا يحدث بالضبط ؟!

أتاه صوت ، يقول بلهجة أكثر صرامة ، من داخل إحدى السيارات :

- أخبرني أنت ماذا يحدث بالضبط ، يا كولونيل (كوربوف) ؟!

ثم خرج من السيارة رجل متين البنيان ، أشقر الشعر ، عريض الكتفين ، يستطرد في صرامة أكثر :

- المدير شخصيًا أصدر أمرًا باعتقالك

اتسعت عينا (أدهم) في ارتياع ، وهو يتمتم :

- آه .. كان ينبغي أن أتوقع هذا .

أما (سيرجي) ، فقد حملت ملامحه الثلجية غضبًا لا حدود له ، وهو يتطلع في صمت إلى زميله ، وفي أعماقه تتردد صرخة قوية

لقد فعلها (كوالسكي) هذه المرة ..

فعلها بمنتهى البراعة ..

ومنتهى الشراسة ..

* * *

لأول مرة ، منذ فترة طويلة ، تفجرت من حلق (يفجيني إيفانوفيتش) ضحكة عالية ، واسترخى في مقعده ، وهو ينفث دخان سيجارته بمنتهى العمق ، ووضع هاتفه المحمول على المنضدة أمامه ، قائلا

- كم يدهشني ما فعله (كوالسكي) الغبي هذه المرة .. لقد نجح في إثارة انبهاري بحق !!

توقفت (روشا) عن رياضتها العنيفة، وسألته في اهتمام:

- ومن الذي قطعه؟!

لوّح (بوري) بيده، قائلاً:

- أزاح منافسه وخصمه اللدود، الكولونيل (سيرجي كوربوف) عن طريقه ... بضربة قاصمة

نهضت متسائلة في فضول

- وماذا فعل؟!

اكتسى صوته بصرامة مباغتة، وهو يجيب

- ما ينبغي.

شعرت بالقلق لأسلوبه هذا، ولذلك التقلّب العجيب في مشاعره، وحاولت أن تبحث عن حديث آخر، فقالت في عصبية

- الضربة الأخيرة كان لها تأثير رهيب

انعقد حاجباه، وهو يقول:

- إنها لم تكتمل بعد.

لم تنتبه إلى ما يقصده، فتساءلت في اهتمام:

- أين نحن من مطالبك الآن؟!

نفث دخان سيجارته في قوة، وتطلّع إلى سحب الدخان، وهي تصعد إلى سقف القاعة الفخمة، التي يجلسان داخلها، قبل أن يلتفت إليها، ويقول في برود عجيب:

- ماذا دهاك يا عزيزتي (روشا)؟! هل أصابك الصمم مؤخراً، أم أن درجة ذكائك قد انخفضت بغتة؟!

أقلقها سؤاله وبروده المباغت، فتمتمت في حذر شديد:

- لماذا؟!

صرخ في وجهها بغتة، بغضب هادر:

- قلت إن الضربة الثالثة لم تكتمل بعد .

شعرت بالغضب ، وهي تقول في عصبية :

- الضحايا هذه المرة بالآلاف .

رفع سبابته ، قائلاً في صرامة :

- (شلينكو) لم يضرب الهدف بعد .

ثم نهض من مقعده بغتة ، مستطرداً في مقت :

- (القاهرة) .

التقطت نفساً عميقاً ، في محاولة للسيطرة على غضبها ، وهي تشيح بوجهها ، قائلة في توتر :

- إنها مسألة وقت .

عاد يجلس على مقعده ، قائلاً في صرامة :

- نعم .. مسألة وقت .

وصمت لحظة ، نفث خلالها دخان سيجارته ، قبل أن يضيف في شراسة :

- ونتائج ..

التفتت ، قائلة :

- كل هذا من أجل أد ..

بترت عبارتها دفعة واحدة ، عندما أدركت حمقها ، فابتسم هو في سخرية ، ونفث دخان سيجارته مرة أخرى ، قائلاً :

- نعم .. كل هذا من أجل (أدهم صبري) .

غمغمت في ارتباك :

- ليس هذا ما قصدته .

قال في سخرية أكثر :

- حقاً ؟!

ثم عاد حاجباه يتعقدان مرة أخرى ، وهو يستطرد ، بلهجة حملت كل مقت وغضب الدنيا :

- ولكن هذا ما أقصده أنا .

مع آخر حروف كلماته ، ارتفع رنين هاتف (روشا) ، فالتقطته في سرعة ، قائلة :

- من هناك .

تعقد حاجباها في شدة ، وهي تستمع إلى محدثها ، قبل أن ترفع رأسها إلى (بودي) ، قائلة في توتر :

- إنه (شلبتكو) .. لقد اقترب من الهدف ، ولكن كل الطرق مغلقة ، ورجال الشرطة يفحصون كل السيارات .

بدا التوتر على ملامح (بودي) ، وهو ينفث دخان سيجارته ، مكررًا :

- كل الطرق مغلقة .

أشارت (زوشا) بيدها ، قائلة في توتر أكثر :

- إنه لا يستطيع بلوغ الهدف ، ويسأل ماذا ينبغي أن يفعل .

خُيِّل إليها أن ملامحه قد حملت وحشية لا مثيل لها ، وهو يلقي سيجارته إلى ركن القاعة ، ثم ينهض ، قائلاً في صرامة :

- أبلغه أن عليه أن ينفذ خطة الطوارئ فورًا .. فليطلق الشحنة كلها .. الآن .

وكان هذا يعني أن تنضم (مصر) إلى قائمة ضحايا الوحش ..

الوحش الأعمى ..

وبأمر مباشر ..

للقيادة ..

* * *

كان المكان يتحول إلى جحيم حقيقي ، عندما بلغ (أدهم) تلك الفتحة ، في قمة الصومعة ، وتطلع عبرها ، هاتفًا :

- (أحمد) .. أأنت بخير ؟!

سعل الدكتور (أحمد) بشدة ، مع الدخان الذي ملأ المكان ، وراح يترنح ، وهو يهتف :

- إنني أكاد أختنق .. أخرجني من هنا بسرعة بالله عليك يا (أدهم) .. أسرع .

التقط (أدهم) الحبل ، الذى كان يثبت (كرى) بالباب الثقيل ، ولفّه حوله ، بحثًا عما يثبته به ، قبل أن يعدو نحو الباب الملقى أرضًا ، ويرفعه بعضلاته ، التى لم تشعر يومًا بالإجهاد ، مثلما تشعر به الآن ، ثم وضعه بالقرب من الفتحة ، وأحاطه بطرف الحبل ، قبل أن يلقى الطرف الآخر داخل الصومعة ، هاتفًا :

- هيا .. تسلّق ذلك الحبل يا (أحمد) .. أسرع .

سعل الدكتور (أحمد) أكثر وأكثر ، وهو يشق طريقه ، وسط الدخان الكثيف ، الذى غمر الصومعة كلها ، نحو الحبل ، فهتف (أدهم) ، وهو يراقب النيران ، التى تنتشر فى المكان بسرعة مخيفة :

- أسرع بالله عليك .. أسرع .

ولكن الدكتور (أحمد) توقّف فجأة ، واستقع وجهه بشدة ، وهو يصفر فى ارتياع :

- رباه ! لا ليس الآن .. ليس .

قبل أن تكتمل عبارته ، مادت به الأرض فجأة ، وأظلمت الدنيا أمام عينيه ، وهوى أرضًا فاقد الوعى ..

وهتف (أدهم) :

- يا إلهى ! (أحمد) .

ودون أن يتردد ، ولو لجزء من الثانية ، وثب داخل الصومعة ، واندفع نحو شقيقه ، وفحصه فى سرعة وتوتر بلا حدود ..

كان المسكين قد فقد الوعى ، مع الدخان الذى ملأ رئتيه ، ولم يحتمل جسده الضعيف كل هذا الإجهاد والانفعال ..

وفى حزم ، حمل (أدهم) شقيقه على كتفه ، ثم وثب يتعلق بالحبل ، وفرقعة النيران فى أعلى تكاد تصمّ أذنيه ..

كانت كل ذرة فى جسده تشعر بإجهاد بلا حدود ، ولكن إرادته الفولاذية كانت تتجاوز كل هذا ، وتبث فى عروقه طاقة هائلة ، و ...

ولكن فجأة، بلغت النيران تلك الباب الخشبي الثقيل ..

والحبل المحيط به ..

وشاهد (أدهم) النيران تلتهم طرف الحبل، فصرخ، وهو يتسلقه في سرعة أكبر:

- يا إلهي! يا إلهي!

كان يحاول بلوغ الفتحة، قبل أن تلتهم النيران طرف الحبل تماما ..

ولكن فجأة ومع ثقل جسديهما معا، لم يحتمل الحبل ..

وانقطع ..

ووجد (أدهم) نفسه يهوي مع شقيقه، ليرتطما بأرضية الصومعة في قوة، فهب واقفًا في سرعة، يهتف:

- رباه! (أحمد).

ومع آخر حروف كلماته، دوت فرقعة أكثر عنفًا من أعلى، ثم انهارت تلك الحجرة الخشبية العلوية دفعة واحدة، والنيران تلتهمها بلا رحمة، وأغلقت الأخشاب المحترقة فتحة سقف الصومعة تمامًا، وراحت تغمرها بدخان كثيف ..

كثيف لدرجة لايمكن أن يحتملها بشر ..

أي بشر .

انتهى الجزء الخامس بحمد الله

ويليه الجزء السادس والأخير بإذن الله

(المواجهة الأخيرة)